جاسوسات عاشقات

خلدهن الحب وحقرهن التاريخ

نورما عساف



فريد الفالوجي

مكتبة الجاسوسية

مكتبة الجاسوسية

مكتبة الجاسوسية

مكتبة الجاسوسية



جاسوسات عاشقات

هذه السلسلة

- محاولة دائبة لسبر أغوار النفوس المريضة التى تهوى بأصحابها إلى مستنقعات الخيانة.
- تحليلات مستفيضة لكل الأحداث والمواقف، تكشف الغموض وتظهر النوايا الخفية فى كل تصرف للشخصية المعنية.
- استقصاء شامل لجميع المستندات والملفات للوصول إلى كبد الحقيقة، بعيداً عن الاجتهادات والتأويلات والافتراضات غير المثبتة بالدليل القاطع.
- عمل جاد وجهد شاق لفضح هذه الفئة الضالة من النساء التى أغواها الشيطان، وبعن وطنهن وغدرن بأهلهن.. فحل عليهن العقاب الشديد، والتصق بهن العار إلى الأبد.

نورما عساف :

أعماها الحقد والغل والرغبة فى الثأر لمقتل حبيبها، فأخذت تتفنن فى استخدام كل الحيل والمكائد للإيقاع برجال المقاومة الفلسطينية ومن يساندونهم، ونجحت فى إفشال عمليات فدائية كثيرة، وكسبت إلى صفها بعض العملاء.. وهكذا قدمت هذه الفتاة لبنانية الأصل نموذجاً سيئاً لفتاة باعت الإنسانية والأخلاق وساهمت فى نشر الباطل وشيوع الظلم فى فلسطين على أيدى الصهيونية الباغية.

الناشر





مكتبة الجاسوسية

جاسوسات عاشقات
خلدهن الحب وحقرهن التاريخ

نورما عساف

فريد الفالوجي



رئيس مجلس الإدارة

عادل المصرى

عضو مجلس الإدارة المنتدب

حسام حسين

مستشار النشر

أحمد جمال الدين

رقم الإيداع

١٨١١٩ / ٢٠٠٥

الترقيم الدولى

٩٧٧-٣٩٩-٠٤٢-٧

الطبعة الأولى

الجمع والإخراج الفنى

«مكتبة ابن سينا»

ت : ٦٣٧٩٨٦٣ ف : ٦٣٨٠٤٨٣

مطابع العبور الحديثة

الكتاب : جاسوسات عاشقات

المؤلف : فريد الفالوجى

الغلاف : للفنان إلهامى عزت

الناشر : أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ش.م.م

٢٥ ش وادى النيل - المهندسين - القاهرة

E-mail:atlas@innovations-co.com

تليفون : ٣٠٢٧٩٦٥ - ٣٠٣٩٥٣٩ - ٣٤٦٥٨٥٠

فاكس : ٣٠٢٨٣٢٨

* * * *

المقدمة

إن المرأة عندما تحب بصدق.. وبكل ما لديها من عاطفة جياشة رائعة.. تمنح الحبيب دفقات متتالية من نهر الحب العظيم.. تحيل حياته إلى جنات من الصفو اللذيذ.

ويسوق لنا التاريخ حكايات عن نساء بعن الوطن من أجل الحب.. ولم يندمن وهن ينزوين بين جدران الذبول والنسيان.. أو حتى وهن معصوبات الأعين ومكبلات فى طريقهن إلى الموت فى غُرف الإعدام.

فالمرأة عندما تكتشف فجأة، أن حبيبها ما هو إلا جاسوس محترف، خدعها فى مشاعرها طوال سنوات من الحب المغشوش، ترتج حياتها كلها فى لحظة تسحب من جذور مشاعرها.. لتصل بها إلى صراع مجنون قد يدمرها تماماً.. ويكون رد فعلها عندئذ أكثر جنوناً ودهشة.

إنه صراع فتاك ليس من السهل أن تتحمله امرأة أحبت، وأعطت كل ما لديها لحبيب خائن غدار.. صراع يدفع بها إلى منعطفات حادة مهلكة أحياناً.. فهى إما أن تغمض عينيها وتمسك

أنفاسها لكى تختار الحبيب وحده.. أو تختار الوطن وبذلك تسلم حبيبها إلى الموت.

وقد ذكر لنا التاريخ أمثلة لا حصر لها، لنساء وطنيات فضلن الوطن فوق أى اعتبار.. وأسهمن فى المحافظة على أمنه وسلامته..

وهذه السلسلة من (جاسوسات عاشقات .. خلدهن الحب وحقرهن التاريخ) تتناول سيرة بعض الجاسوسات اللائى كانت لهن قصصاً عجيبة مع الحب والخيانة والعمل السرى.

وفى قصتنا هذه .. سنندهش أمام حالة فتاة يهودية لبنانية الأصل.. تجسست لصالح الموساد ضد الفلسطينيين فى لبنان.. بدافع الحب فى الثأر والانتقام من هؤلاء الذين قتلوا حبيبها..!!

هذا .. والله الموفق والمستعان..

فريد الفالوجي

القاهرة - مدينة نصر

نورما عساف



يهودية لبنانية .. قتل زوجها بعد قصة حب طويلة ، وذلك عندما ضبط يتجسس على الفلسطينيين فى لبنان .. وبعدما هاجرت إلى أمريكا مع أسرتها .. عرض عليها العمل لصالح الموساد ، فوافقت . وعادت إلى وطنها الأصلى من جديد ، جاسوسة تفور بالحقد والغضب والرغبة فى الانتقام !!

شبكات التعقب (1)

عندما تتجسس المخابرات الإسرائيلية على الدول العربية ، فهى إنما تسعى لمعرفة أدق الأسرار الحربية والسياسية والاقتصادية لتبنى استراتيجياتها المختلفة.

أما فى لبنان ، وفى حالة الجنوب اللبنانى بالذات ، فالوضع يختلف كل الاختلاف، إذا إنها تتعامل مع منظمات ثورية وجماعات فدائية دائمة التنقل والحركة ، تخطط لعمليات هجومية وانتحارية فجائية يصعب رصد مقدماتها أو توقيتها ، مما يشكل عبئا ثقيلاً على القوات الإسرائيلية ، التى تظل فى حالة طوارئ مستمرة توقعًا لكل شئ .

لهذا سعت الموساد لتجنيد أكبر عدد من سكان القرى الحدودية لإمدادها بأخبار فورية عن الفدائيين ، معتمدة فى ذلك على أسلوبين من العمل التجسسى :

---

(1) نشرت فى ثلاث حلقات بجريدة (اللواء العربى) القاهرية الأسبوعية، ضمن سلسلة حلقاتنا : (المخابرات والجاسوسية فى القرن العشرين) ، بتاريخ ١٤، ٢١، ٢٨ أبريل ١٩٩٩ الحلقات أرقام (٧٠، ٧١، ٧٢).

١ـ جاسوس يعمل منفردا ، موثوق فى إخلاصه، إلى جانب صدق معلوماته وأخباره ، وغير مطالب بالبحث عن خونة آخرين لتكوين شبكة جاسوسية (وهو يختلف عن جاسوس المهمة الواحدة).

٢ـ شبكة جاسوسية تضم أكثر من عميل فى عدة مواقع .

والشبكة عادة ما تتكون إما عن طريق جاسوس ماهر أعطى أمرًا بتجنيد آخرين لمعاونته ، وإما بإلحاقه تحت إشراف جاسوس آخر، أو شبكة مؤلفة سلفًا .

لقد تفرد لبنان عن سائر الأقطار العربية.. بكثافة عدد الجواسيس داخل الشبكة الواحدة . فعندما ضبطت السلطات الأردنية إحدى شبكات الموساد ، وتبين أن أعضاءها وصل عددهم لـ(٣٧) جاسوسًا، تملكنا العجب .

لكن .. أن تسقط فى لبنان أوائل العام ١٩٩٩ شبكة واحدة مؤلفة من (٢٠٠) عميل لبنانى للموساد ، فذلك هو الأعجب حقًا.. والدليل الذى لا يقبل تكذيبا على ازدهار النشاط التجسسى الإسرائيلى فى لبنان .. مما يعطينا مؤشرًا لمدى الرعب الإسرائيلى

والهلع من عمليات المقاومة وضربات الفدائيين الفجائية ، برغم وجود ثلاثة آلاف عميل يتألف منهم جيش لبنان الجنوبى .

لكل ذلك نخلص إلى حقيقة جلية ، أن الجاسوسية الإسرائيلية فى لبنان هى عماد الأمن الذى تنشده إسرائيل وتريده بإلحاح على الحدود الشمالية للدولة الصهيونية.

ومن هنا تتعامل أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية مع ما تبثه اللاسلكيات فى لبنان بشكل مغاير تمامًا لمثيلاتها فى الأقطار العربية الأخرى. إذ تتخذ الاستعدادات الأمنية الضرورية بمنتهى السرعة فى سباق مع الزمن . فالعمليات الفدائية تتسم دائمًا بسرعة الحركة والفعل.. فلا وقت أمام الإسرائيليين إذن للتريث ريثما يتأكدون صحة البلاغ أو الخبر .

تمامًا ، عكس الشبكات التجسسية الصهيونية فى الدول العربية الأخرى، تلك التى لا تأخذ الموساد أخبارها بمحمل الجد إلا إذا جاء ما يؤكد صدقها من خلال شبكة أخرى داخل القطر نفسه ، لكن كان هناك برغم ذلك حالات استثنائية جدًا ، كانت

فيها الموساد تثق فى صدق المعلومة المبثوثة إليها دون أدنى مراجعة، نتيجة للثقة العالية فى مصدرها[1] .

وفى القصص التى نحن بصددها فى سلسلة (جاسوسات عاشقات)، تعرفنا على العديد من حالات التجسس المنفرد .. ونتعرف من خلال هذه القصة على نموذج آخر لأساليب التجسس الإسرائيلى ، وهو نظام شبكة الجاسوسية المكلفة بتتبع الفدائيين والتغلغل فى مهارة داخل نسيجهم للحد من عملياتهم وتسللهم عبر الحدود .

فتلك هى وظيفتها الأساسية ، بعيدًا عن القيام بأعمال تخريبية ضد المنشآت أو البنية الاقتصادية فى لبنان ، أو ترويج الإشاعات ، أو المساعدة فى تسهيل مهام الاغتيالات لزعماء الثورة الفلسطينية.

راقصة المونتريكال

بداية ..اشير إلى أن المقاومة الفلسطينية فى الجنوب اللبنانى بالذات لم تتوقف أو تكف عن إنهاك إسرائيل منذ قيامها (حتى انسحاب قواتها فى مايو ٢٠٠٠ هربًا من ضربات المقاومة) ، وكان

(١) هذا ما كان يحدث بالضبط مع إيلى كوهين فى سوريا ، والرائد فاروق الفقى، وولفجانج لوتز فى مصر وغيرهم . فهناك حسابات معقدة وراء تلك الأمور .

ذلك من خلال عمليات محدودة وغير منظمة ، استمر هذا الوضع حتى أعلنت منظمة التحرير عن نفسها فى منتصف الستينيات، بزعامة أحمد الشقيرى[1] فاشتعلت المقاومة عندئذ وتضاعفت

---

(١) يواكب شهر فبراير ٢٠٠٥ الذكرى الخامسة والعشرين لرحيل المناضل المحام الفلسطينى أحمد الشقيرى، أول رئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية، والذى ولد فى بلدة تبنين، جنوبى لبنان. وبعد تخرج الشقيرى من معهد الحقوق فى القدس عمل وتمرن فى مكتب المحامى عونى عبد الهادى، أحد مؤسسى حزب الاستقلال فى فلسطين، وتعرف خلال هذه الفترة على عدد من رجالات الثورة السورية الكبرى الذين لجأوا إلى فلسطين، ومنهم شكرى القوتلى ورياض الصلح ونبيه العظمى وعادل أرسلان. وقد شارك الشقيرى فى الثورات الفلسطينية المختلفة مناضلا بلسانه وبقلمه ضد الانتداب البريطانى والصهيونية، ومدافعا عن المعتقلين والثوار العرب الفلسطينيين أمام المحاكم البريطانية. وحين انتهت تلك الثورة لاحقته سلطات الانتداب البريطانى، فغادر فلسطين إلى مصر، حيث أمضى بعد الوقت، ثم عاد إلى فلسطين فى أوائل الحرب العالمية الثانية فافتتح مكتبا كبيرا للمحاماة، واختص بالدفاع عن المناضلين الملاحقين وبقضايا الأراضى، فعمل على إنقاذ قسم من الأراضى العربية ومنع تسربها إلى الصهيونيين، ولما تقرر تأسيس المكاتب العربية فى عدد من العواصم الأجنبية برئاسة موسى العلمى، عُين الشقيرى، أول مدير لمكتب الإعلام العربى فى واشنطن، ثم انتقل مديرا لمكتب الإعلام العربى المركزى فى القدس. وقد ظل على رأس عمله هذا بالإضافة إلى المحاماة، إلى أن وقعت نكبة ١٩٤٨ فاضطر للهجرة إلى لبنان، واستقر مع أسرته فى بيروت . قررت الحكومة السورية أن تستفيد من خبرات الشقيرى فى مجال السياسة الخارجية فعينته عضوا فى بعثتها إلى الأمم المتحدة (١٩٤٩-١٩٥٠) ثم عين أمينا عاما مساعدا للجامعة العربية بوصفه يحمل الجنسية السورية. وقد بقى فى منصبه هذا حتى سنة ١٩٥٧، حين عين وزير دولة لشئون الأمم المتحدة فى الحكومة السعودية، وسفيرا دائما لها لدى هيئة الأمم المتحدة. وكان الشقيرى خلال وجوده فى الأمم المتحدة خير محام عن القضية الفلسطينية، وعن قضايا العرب الأخرى، ولا سيما قضايا المغرب والجزائر وتونس. وفى ١٩٦٣ أنهت المملكة العربية السعودية عمل الشقيرى فى الأمم المتحدة لخلافه مع وزارة الخارجية السعودية.

= لم يبتعد الشقيرى عن الحياة العامة، فقد وقع اختيار الملوك والرؤساء العـرب عليـه، فور عودته من الأمم المتحدة، ليشغل منصب ممثل فلسطين فى جامعة الـدول العربيـة، بعد وفاة ممثلها أحمد حلمى عبد الباقى، ثـم اتخذ مؤتمر القمة العربى الأول المعقود فى شهر ينـاير سـنـة ١٩٦٤ قـرارا بتكليـف الشـقيرى، بوصفـه ممثـل فلسطين فـى الجامعـة، بإجراء اتصالات مع أبناء الشعب الفلسـطينى حـول إنشاء الكيـان الفلسطينى علـى غـير القواعد السليمة، والعودة بنتيجة اتصالاته ودراساته ومساعيه إلى مؤتمر القمة العربـى التالى. فقام الشقيرى بجولة فى الدول العربيـة التـى يعيـش فيها الفلسـطينيون، ووضـع مشـروع الميثـاق والنظـام الاساسـى لمنظمـة التحريـر الفلسـطينية (الميثـاق القومـى الفلسطينى) ١٩٦٤) وتم اختيار اللجـان التحضيريـة التـى وضعـت بدورهـا قوائـم بأسمـاء المرشحين لعضوية المؤتمر الفلسـطينى الأول (٢٨ مـايو - ٢ يونيـو سـنـة ١٩٦٤) الـذى أطلق عليه اسم المجلس الوطنى الفلسطينى الأول لمنظمـة التحريـر. وقـد انتخـب هـذا المؤتمـر الشـقيرى رئيسـا لـه، وأعلـن قيـام منظمـة التحريـر الفلسـطينية، وصـادق علـى الميثـاق القومى والنظام الاساسى للمنظمة، ثم انتخب المؤتمر الشقيرى رئيسـا للجنـة التنفيذيـة للمنظمة.

قدم الشقيرى إلى مؤتمـر القمـة العربـى الثـانى (عـام ١٩٦٥) تقريـرا عـن إنشـاء الكيـان الفلسطينى وأكد فيه الناحيتين التنظيمية والعسكرية للكيان مـن أجـل تحقيـق هدفـى التعبئـة والتحريـر . كمـا قـدم إلى المؤتمـر أعضـاء اللجنـة التنفيذيـة لمنظمـة التحريـر الفلسـطينية وقـد وافـق المؤتمـر علـى مـا قـام بـه الشـقيرى، وعلـى تقديـم الدعـم المـالى للمنظمة. وفى الدورة الثانية للمجلس الوطنى الفلسطينى (القـاهرة ٣١ مـايو - ٤ يونيـو ١٩٦٥) بيّن الشقيرى ما قـامت بـه اللجنـة التنفيذيـة برئاسـته، ومـن ذلـك إنشـاء القـوات العسـكرية، والصنـدوق القومـى، ودوائـر المنظمـة ومقرهـا العـام فـى القـدس. ثـم قـدم استقالته فقبلها المجلس، ثم جدد رئاسته للجنة التنفيذية ومنحه حق اختيار أعضائها.

وبعد عدوان يونيو سنة ١٩٦٧ حدث تغير كبير على الساحتين العربية والفلسطينية، كما قام تباين فى وجهات النظر بين بعـض أعضـاء اللجنـة التنفيذيـة ورئيسها، فتقـدم الشقيرى فى ديسمبر سنة ١٩٦٧ باستقالته إلى الشعب العربى الفلسطينى.

وكـان الشـقيرى يؤكـد دائمـا أن المساومات السياسـية لـن تحـرر فلسطين، وأن الكفـاح المسلح هو وحده الطريق السـليم للتحريـر. كمـا كـان يؤكـد وجـوب محاربـة الإمبرياليـة الأمريكية باعتبارها الجهة التى ترتبط ارتباطا موضوعيا مع الصهيونية و « سرائيل» ومخططاتها، وهى التى تعمل على فرض سيطرتها على الأمة العربية ونهب ثرواتها، مما يستوجب أن يكـون النفط سـلاحا مـن أسلحة التحـرير ومحاربـة الإمـبريالية. وقد عدّ توقيع اتفاقيتى كامب ديفيد ومعاهدة الصلح المصرية - الإسرائيلية وتطبيـع =

حدتها ضراوة بعد نكسة يونيو ١٩٦٧ ، ثم ازدادت اشتعالاً بعد أحداث أيلول الأسود ١٩٧٠ ، وطرد المقاومة من الأردن إلى لبنان ..

فقد تصاعدت العمليات الفدائية الفلسطينية بشكل انتقامى متصل ومنظم ، لا يهدأ سواء عبر الحدود ، أو بدفع لنشاط الفدائيين عبر البحر المتوسط للمدن الساحلية والمستعمرات الإسرائيلية ، والقيام بعمليات غاية فى الجراءة والجسارة داخل الأرض المحتلة .

كان الأمر بحق مرعبًا فى إسرائيل ، ولهذا لجأت الموساد لأسلحتها الفتاكة المعتادة - الجنس والمال - للحد من هجمات الفدائيين من شتى الفصائل والجبهات الفلسطينية، وبرعت الاستخبارات الإسرائيلية فى تصيد عدد كبير من الخونة لإمدادها بتحركات رجال المقاومة المسلحة وخططهم ونواياهم . وكان من بين هؤلاء الخونة الذين أمكن السيطرة عليهم بعض الجنوبيين، ومنهم (أحمد ضاهر) ٣٧ عامًا من بلدة (عيترون) الواقعة على بعد عدة كيلومترات من الحدود الإسرائيلية جنوبى لبنان.

= العلاقات بين مصر والكيان الصهيونى خيانة عظمى للقضية الفلسطينية والعربية، لذلك غادر القاهرة إلى تونس سنة ١٩٧٨، حتى وافته المنية فى ٢٥ فبراير ١٩٨٠.

فكيف أمكن تجنيد أحمد ضاهر ؟ وما الظروف التى دفعت بـه إلى السقوط فى مصيـدة الخيانـة ؟ وكيـف استطاع تـأليف شـبكته الجاسوسية ؟

إنها قصة طويلة مثـيرة بـدأت أحداثـها فـى بـيروت عـام ١٩٦٩ .. عندما قرر هذا الجنوبى فجأة أن يغلق دكان بقالته فى (عيترون). ويهجر حياة البساطة إلى أضواء بـيروت ، يـراوده حلـم الشـهرة فـى عالم الغناء والطرب .

ومـا أن احتوتـه المدينــة الجميلــة السـاهرة ن حتــى اجتاحــه إحساس جميل بمستقبل مشرق ينتظـره .. وشـعور بالأمـان طالما افتقده منذ أنهى الخدمة فى الجيش اللبنانى – كرقيب متطـوع – إثـر حادث سيارة تـرك بصماتـه بعظـام سـاعده الأيمـن . واسـتطاع وقتها ، بالمكافأة المادية التى حصل عليها ، أن يفتتـح محلاً بسـيطا للبقالة فى قريتـه .

إلا أن مطالب أمه العجوز وزوجتـه ربـاب وأولاده الأربعـة كـانت أكبر من دخل دكانــه ، مضافـا إليـها مجمـوع مـا ينفقـه علـى شـراء أسطوانات الأغانى والمجلات الفنـية ، التــى تقربـه دائمًـا مـن عالمـه الذى يسبح فيه خلال إرهاصاته ليل نهار .

فالغناء كان يمثل قيمة معنوية كبيرة لديه، حيث اعتاد أن يغنى الأغنيات الشعبية اللبنانية، والأغانى المصرية، ويظهر فى كل حفلات الأهل والأصدقاء فى بلدته وفى القرى القريبة المجاورة أيضاً. وكان يتصور أن صوته المميز تذكرة دخول إلى عالم الفن والشهرة فى بيروت.. وتلك طامة كبرى..!!

وجمعته هواية الغناء بشاعر حالم اسمه (كمال المحمودى) ، دأب على السهر معه وانتقاء ما يصلح من أشعاره للغناء. فامتزجا معاً يحلمان بالشهرة وبالمجد، ويبعثران أحلامهما عند انقضاض الواقع .

ولما سافر كمال المحمودى إلى بيروت يبحث عن فرصة تحقق لهما الأمل المرجو، كتب إلى صاحبه بعد مدة قصيرة ليلحق به ، وأقاما معا بشقة صغيرة تتألف من حجرة واحدة فى حى بئر العبد ، الواقع ما بين المطار الدولى جنوبًا والمرفأ من الشمال ، يفصلهما عن حى الحمراء الشهير المدينة الرياضة ، وصبرًا ، والمزرعة ، وتل الخياط .

مسافة كبيرة إلى حد ما، ولكنهما كانا يقطعانها أحيانا سيرًا على الأقدام، يحملان معاناة المجد والحياة والأضواء والثراء.. ضريبة الشهرة التى أثقلتهما وأنهكتهما.

وبعد طول شقاء رحل الشاعر يائسًا إلى باريس، وبقى أحمد ضاهر وحده ببيروت يصارع اليأس والجوع والتعب .

أربعة أشهر وهو ينقب عن فرصة للغناء فى كباريهات المدينة ، تعرف خلالها بفتاة مارونية حسناء كانت ترقص الدبكة فى ملهى (مونتريكال) فى (جونية)[١] ، أعجبها صوته وقررت أن تساعده. فقدمته لإدارة الملهى كمطرب من الجنوب . لكنهم اعتذروا لوجود فائض من المطربين «المعروفين» ، وعرضوا عليه أن يعمل لديهم كحارس للسيارات أمام الملهى .

وأمام حاجته إلى المال ، وافق على العرض . وظل يعانى صراعا داخليًا مريرًا أوصله إلى درجة السآمة .

---

(١) جونية : مدينة ساحلية رائعة تقع على بعد عشرين كيلومترًا تقريبًا شمالى بيروت. ويمر بها الطريق الرئيسى من بيروت إلى طرابلس، وتعتبر مركز قضاء كسروان. ويوجد بها التليفريك الذى يصعد إلى أعالى الجبال التى تحيط بالمدينة.

فــوار أنطلــياس

عمل «أحمد ضاهر» رجل أمن وحراسة خارج الملهى، أو فلنقل «سائسا» يحرس سيارات الزبائن قانعاً بالليرات التى يمنحونها إياه بالإضافة إلى الراتب الشهرى.

فى إحدى الليالى بينما يجتر حاله، خرجت إحدى الزبونات تترنح لا تدرى أين أوقفت سيارتها. فساعدها فى الوصول إليها، لكنها لم تكن بحالة تسمح لها بالقيادة ليلاً.

وأجابها بنعم عندما سألته عما إذا كان بمقدوره القيادة وتوصيلها لمنزلها.

وفى السيارة تأمل لأول مرة السيدة الحسناء التى عن يمينه، وقد انحسر ثوبها الناعم القصير عن ثلثى ساقيها. وارتعش ثدياها النافران فى تمرد سافر لاهتزازات الطريق، فأربكته لفتتها وقد قرأت فى عينيه أفكاره.

وسألته بصوت خفيض عذب مثير:

- بيظهر نظرك ممتاز.

أجابها وقد تمكن منه الإعجاب :

- يا لطيف بحالى . صوتك مثل اللوز الفرك ، بيقرش قرش[1] .

ضحكت فى تأوه لذيذ وهى تقول :

- شو ؟ تغنيلى قصيدة ؟

تذكر فى الحال حلمه الجميل الضائع ، فنسى جسدها المرمرى المثير وانطلق يحدثها عن أمانيه ، وحلم الهجرة إلى الشمال أملاً فى الغناء .

وانتبهت إلى حديثه كأنما أفاقت من سكرها قليلاً وقد أخذ يشدو بصوت رخيم :

وكم أهوى سواد الليل فى العينين .

حورية.

وكم أهوى .. جنون الوهم .. أحياه

بأشواقى البدائية ..

---

(١) عذرا ... فالحوار هنا باللغة اللبنانية الدارجة، وقد وجدت أنه أوقع أثرا لكونه جاء على لسان أهله وفى بيئته والقارئ يمكنه عند القراءة بتمهل تذوق وفهم معانى الحوار ودلالات كلماته التى رأيت تخفيفها قدر الإمكان.!!

عن الدنيا حكايات ..

عن الأنثى..

عشيقاتى

الأساطير الخرافية

عند ذلك صاحت فى دهشة :

ـ صوتك شو حلو .. إنشالله بتغنى فى (الكوت دو روا)[1] ما تحير بالك .

وبدلاً من أن يواصل إلى بيروت ـ حيث تسكن فى حى الأوزاعى الراقى ـ أمرته أن ينحرف بالسيارة حتى وصل إلى مفرق ضيق دخل فيه بين غابة من الصنوبر، ثم استقر أمام مقهى كبير تظلله الأشجار فقال :

ـ أين نحن الآن ؟

قالت وهى تهم بمغادرة السيارة .

ـ فوار أنطلياس[2] .

---

(١) ملهى شهير ببيروت .

(٢) فوار انطلياس: بقعة رائعة الجمال تقع فى الشمال من بيروت على ساحل البحر المتوسط، بالقرب من الطريق إلى جونية.

لست مجنونة

تقدمته إلى ركن قصى وعيون الرواد تخترق جسدها ، وجلسا متقابلين على طاولة، يجرى بموازاتها جدول صغير تترقرق موجاته مع حركة النسيم الربيعى الرقيق .

مالت لناحيته قليلاً فظهر خليج صدرها الناصع يغور إلى الظلام، وبعيونها الناعسة وأهدابها القاتلة سألته عن اسمه وموطنه وظروفه فأجاب وهو خائر المقاومة. فطلبت كأسين آخرين من (الجين) ، وبنظرة منها آمرة رفع كأسه وشرب . ومترددًا سألها عن اسمها

فأجابته :

ـ (نورما)

حاول أن يعرف المزيد عن شخصها فشردت ببصرها ورجته أن يؤجل ذلك .

كانت برغم جمالها الأخاذ وأنوثتها الفتاكة فى الأربعين من عمرها أو يزيد بقليل . يهودية لبنانية الأصل اسمها الحقيقي (إيلين عساف) واشتهرت باسم (نورما)

هاجرت مع أبويها وأختها (ليز) إلى أمريكا عام ١٩٥٧ وهى فى

الثلاثين . فقد أعرضت عن الزواج بعد مقتل زوجها عام ١٩٥١ على يد بعض اللاجئين الفلسطينيين ، عندما ضبطوه يتجسس على مواقعهم بالقرب من (قلعة شقيف)[1] .

كانت قد اقترنت به وعمرها تسعة عشر سنة عام ١٩٤٧ بعد قصة حب مجنونة اشتهرت فى (إهدن)[2] ولما جاءها نبأ مقتله كانت حاملاً فى شهرها الثانى ، فسقطت مغشيًا عليها ، وسقط الجنين ، وضاعت فرحتها منذ تلك اللحظة .

ولمدة طويلة انغلقت إيلين عساف على نفسها ، حتى أنها تعثرت دراسيًا فى الجامعة الأمريكية ببيروت ، وبعد مرور وقت عصيب تماسكت شيئا فشيئا ، فامتثلت للحقيقة وأكملت دراستها فى الفلسفة وعلم الاجتماع .

لكنها كانت فى كل لحظة تضعف فيها عند هجوم الذكريات ، تزداد يقينا بأنها لم تنس الحبيب والزوج القتيل، ولم تنسى أن الفلسطينيين قتلوا فرحتها إلى الأبد.

---

(١) قلعة شقيف : تقع فى الجنوب اللبنانى وهى قلعة أثرية قديمة فوق مرتفع ، تطل على عدة طرق حيوية اتخذ منها الفدائيون موقعا استراتيجيا لانطلاق عملياتهم ضد المستعمرات الإسرائيلية فى الشمال.

(٢) إهدن : مدينة لبنانية تعد من أجمل المدن وتقع على منحدرات جبل المكمل شمالى لبنان، وتعتبر مركز قضاء زغرتا بمحافظة الشمال وهى مصيف لبنانى شهور بارتفاعه عن مستوى سطح البحر بنحو ١٤٥٠ مترا.

تكـر السـنوات وتطرحـها موجـات الحيـاة علـى الشـواطئ فـلا تنسى، وتظل حبيسة الماضى الذى يأبى أن يغادرها . واعتقد أبويها بأن الهجرة قد تنسيها معاناتها ، وتمزجها بالمجتمع الجديد بعيدًا عن لبنان ، لكنهما كانا واهمين .

فابنتهما كانت مكبلة بماضيها بحبال من فولاذ وصورة زوجها الراحل كانت ما تزال تتدلى على صدرها ، أما خطاباته الغرامية فقد أودعتها علبة مزركشة برسوماته لا تغلق حتى تفتح من جديد.

كانت هداياه أيضا منثورة بكل أركان حجرتها ، وملابسه تحتل مكان الصدارة فى دولابها . حتى أحذيته .. فكثيرًا ما كانت تتلمسها برفق وحنان وشوق مسعور . وضحكت ذات يوم وقد حدثتها أمها مترددة فى أن تصحبها إلى الطبيب النفسانى . فقالت لها :

ـ (أتحسبيننى جننت يا أماه ؟ كنت أحب زوجى ولازلت ، ولن أسمح لرجل قط أن يلمس جسدى من بعده) .

كارلا استيفانو

فـى شـارع Multrie عاشـت نورمـا بمدينـة (شارلسـتون)[1] الأمريكية، وافتتح أبوها مطعمًا بالقرب من الميناء يقدم الأطعمة الشرقية المختلفة للبحارة والصيادين فى الخليج المطل على المحيط الأطلنطى.

وفى منتصف ١٩٥٨ وفد إلى المدينة زائر تبدلت مع مقدمه حياة نورما تمامًا ، إنه (روبى) أو (روبير) ابن عم زوجها ، الذى كان قد هاجر إلى إسرائيل ، وجاء إلى أمريكا ليتدرب فى أحد المصانع .

واندهش الشاب أمام تعلق نورما بحياتها فى الماضى وعدم رغبتها فى الخروج منها . وحاول معها كثيرًا لكنه فشل .

وفى زيارته التالية لشارلستون لم يجئ (روبير) وحده ، بل كان بصحبته مراسل صحفى إسرائيلى ، عرض عليها للخروج من أزمتها أن تسعى للانتقام من قتلة زوجها ، وأن تطاردهم أينما كانوا .

---

(١) شارلستون : Charleston أشهر مدن ولاية South Carolina بنيت عام ١٧٨٠م على ساحل المحيط الأطلنطى جنوب رأس رومين Cape Romain .

جذبها حديثه وحرك فيها كوامن الثأر التى كم راودتها لكنها عجزت عن إيجاد الوسيلة لذلك. ولما سألته كيف تنتقم وتثأر (؟!!) أجابها بأن هناك وسائل شتى للانتقام وإراحة أعصابها، ووعدها بأن يجيئها بالشخص الذى يعاونها .

وبعد أيام قلائل، كانت نورما عساف تنصت باهتمام شديد لرجل لبق أنيق، استغل معاناتها النفسية جيدًا وضغط بقوة على براكين آلامها ففجرها، إنه (إبراهام مردوخ) ضابط المخابرات الإسرائيلى الذى جاء خصيصاً لها.

لقاء واحد بينهما فقط حتى أشعل إبراهام بداخلها ثورة من جنون الغضب، والكراهية للفلسطينيين، ولم تنتظره ليعرض عليها العمل مع الموساد .. بل هى التى ضغطت فكيها توعدًا وصرخت فيه :

ـ (سأحرق قلوبهم كما فعلوا بى، سأنسف أفراحهم وأحلامهم .. إننى أتشوق للانتقام والثأر، فألف كلب منهم لن يشبعنى شرب دماؤهم).

أجابها فى هدوء :

ـ (سيدتى .. الغضب فى عملنا قد يكلفنا حياتنا . نحن نعمل

بلا أدنى اندفاع ، فالحرص والذكاء هما مفتاح مهامنا وقوتنا ، وأساس عملنا.

قالت:

- (إننى على استعداد تام للعمل معكم ، لكن بشرط ، ألا أتعرى لرجل ، أو تضغطوا على لأضاجع حيوانًا عربيًا ، مهما كان مركزه وأهميته، لأجلب منه أسرارًا تريدونها).!

ابتسم ضابط الاستخبارات ابتسامة باهتة لا تحمل معنى وعقب قائلاً :

- (ليكن فى علمك سيدتى إن الجنس غير وارد فى صميم عملنا ..(!!) لكننا نلجأ إليه مع بعض العرب الذين يعيشون حالة شرسة من الجوع الجنسى ، والبعض الآخر منهم يكتفون بالمال للتعاون معنا ، وعلى كل ، أعدك بألا نعرضك لأولئك الجوعى ، فعندنا فتيات مدربات جيدًا للتعامل معهم).

انتهى اللقاء بينهما .. وكان عليها أن تنتظر بضعة أيام ليجيئها الأمر بالسفر إلى تل أبيب ، وقد حدث ، وطارت أكثر من ألف كيلو مترًا إلى نيويورك حيث التقت بمردوخ ، الذى شرح لها خطواتها القادمة ، وأطلعها على ما يجب أن تفعله فى روما .

وفى روما كان ينتظرها شخص ما تسلم منها وثيقتها اللبنانية وسلمها وثيقة أخرى باسم (كارلا ستيفانو) ، وظل يتابعها من بعيد حتى وهى تصعد سلم الطائرة الإسرائيلية المتجهة إلى مطار اللد .

كانت تشعر بسعادة غامرة وقد أدركت أن هناك تغيرات جديدة اقتحمت حياتها . يحفها إحساس بالنشوة وهى مقبلة على الانتقام لزوجها ، وثمة تبدلات لذيذة اجتاحت مشاعرها عندما حلقت بها الطائرة فى دائرة كاملة فوق تل أبيب ، قبل أن تهبط باللد[1] على بعد سبعة عشر كيلو مترًا ، وهتفت :

ـ ها هى إسرائيل أخيرًا .. الوطن الجديد والحلم والمعاناة . الوطن الذى قتل من أجله الحبيب ، ومن أجله أيضًا تسعى بقدميها للثأر.

---

(١) اللد: مدينة فلسطينية تعرف باسم ليديا Lydia ، وهى قريبة جدا من الرملة حتى أنهما الآن يشكلان مدينة واحدة تقريبا. تبعد اللد عن يافا عشرين كيلو متر، وعن القدس ثمان وستعون كيلو مترا، وتشتهر بزراعة الزيتون والحمضيات . واللد هى (لد) جمع (الد) و (الألد) الشديد الخصوبة. وأطلق عليها الحاكم الرومانى فسباسيا نوس اسم (ديو سبوليس)، وأطلق عليها الصليبيون اسم (القديس جورج) وحررها صلاح الدين بعد معركة حطين ثم هدمها حتى لا يستفيد الصليبيين منها عندما انسحب ليحمى بيت المقدس.

حية بين الأفاعى

أهلاً بك فى إسرائيل مسز نورما .

صافحت اليد الممدودة فى سعادة ، وتأملت وجه الرجل البشوش اللطيف القسمات وهو يقول:

- (آمل أن تكون الرحلة طيبة ومريحة.. من فضلك دعينى أحمل حقيبتك.. السيارة ليست بعيدة عن هنا..!!

كان الاستقبال حافلاً وحاراً، كطقس سبتمبر ١٩٥٨ . وأخبرها مرافقها أنها ستقيم بفيلا رائعة على شاطئ البحر فى (نتانيا) وأنها بعد الغد ستكون ضيفة شرف على مائدة أيسير هاريل[1]

---

(١) كان بن جوريون قد اختار هاريل فى ٢٠ سبتمبر ١٩٥٢ بسبب عقليته المتشككة ، من بين مزايا أخرى بعدما عرف عنه أنه صائد ماهر للجواسيس ، طوال فترة رئاسته للشين بيت (الأمن الداخلى) . ولد هاريل فى عام ١٩١٢ باسم (إيسير هالبيرين) بمنطقة (فولوزهين) فى روسيا القيصرية ، وكان أصغر أربعة أطفال لرجل أعمال ثرى ، وشب ذكيا قصير القامة ، نشيطا جدا . التحق فى مراهقته بمنظمة صهيونية يسارية اسمها (هاشومير هاتزاير) – الحراس الشبان – تطورت فيما بعد وأصبحت حزب (مابام) اليسارى . وفى عام ١٩٣٠ سافر إلى فلسطين وعمل فى إحدى الكيبوتسات ، وبعد خمس سنوات .. غادر المزرعة الجماعية ومعه زوجته – رفقة – وبدآ عملهما الخاص بهما فى صناعة الخل وتغليف البرتقال . ومع نشوب الحرب العالمية الثانية ، انضم إلى منظمة الهجاناة الإرهابية . التى ارتكبت أبشع المذابح ضد الفلسطينيين ، ودخل فرع المخابرات فيها (شاى) وبعد ثمانى سنوات حقق تدريبا كبيرا ، لفت انتباه بن جوريون رئيس الوزراء ، فاختاره وهو فى السادسة والثلاثين أول رئيس للشين بيت (١٩٤٨-١٩٦٣) . وفى الأربعين من عمره عين رئيسا للموساد =

الرئيس الأعلى للمخابرات الإسرائيلية ، فى احتفال يقام بمناسبة مرور ستة أعوام على رئاسته للمخابرات .

انبهرت نورما بهاريل عندما قام لاستقبالها ، منحنيًا أمامها فى احترام وهو يقبل يدها ويدعوها إلى مائدته .. وسرت ببدنها رجفة زهو سيطرت عليها بصعوبة .

التفت بوجهه الوديع ناحيتها وقال لها :

ـ (لتغفرى لى سيدتى أننى لم أكن فى شرف استقبالك بالمطار.. إننى لفخور جدًا أن تنضم سيدة رائعة مثلك إلى أسرتنا فى الموساد).

ازدادت ارتباكاً لرقة حديثه وذوقه فى انتقاء كلمات الإطراء ، وتمتمت ببضع كلمات خجلى بدت غير واضحة ، فأخرجها من خلجها عندما وقف قائلاً :

ـ (اسمحى لى مسز نورما أن أقدمك إلى كبار رجال الدولة فى إسرائيل).

- خلفًا لـ(روفن شيلواه) (أو روبين شيلواك ١٩٥١-١٩٥٢) وظل فى منصبه لأكثر من عشر سنوات ونصف السنة ، إلى أن قدم استقالته فى ٢٥ مارس ١٩٦٣ إثر فضيحة أوتو جوكليك الشهيرة بسويسرا..(انظر الجزء الثالث من كتابنا: (حراس الهيكل، فضيحة تهديد هايدى فى ألمانيا) ويرجع لهاريل الفضل فى إعادة تنظيم المخابرات الإسرائيلية .

مشت إلى جواره ثم تأخر عنها خطوة وهو يقدمها لأكبر ضيوفه. حيث تواجد بن جوريون رئيس الوزراء الذى قبل يدها هو الآخر وهو يشد عليها مرحباً ، ومهنئا على سلامة الوصول .

ثم قدمها لجولدا مائير وزيرة الخارجية ، ولبن زيون بنكوس وزير المواصلات ، ولشمعون بيريز وموشى ديان ، ولشخصيات عامة أخرى منهم « إسحق يزير نيتسكى»[1] ، «ويهو شافاط هاركابى»[2] ، و«مائير يارى» زعيم حزب المابام ، والجنرال «آموز مانور»[3] ، والجنرال «مائير ياميت»[4] ، و«ليلى كاستيل»[5] ، و«إلياهو ساسون» و«بنيامين بلومبيرج» ، وغيرهم من مؤسسى إسرائيل وكبار رجالاتها.

شغرت نورما عساف بأهميتها رغم ضآلتها ، وأسلمت قيادها منذ ذلك الوقت لفريق من أكفأ رجال الموساد قاموا على تدريبها

---

(١) زعيم عصابة شتيرن الذى غير اسمه لإسحاق شامير ، وتولى رئاسة الوزراء بعد ذلك.

(٢) رئيس المخابرات العسكرية (أمان) ١٩٥٥-١٩٥٩ .

(٣) تولى رئاسة (الشين بيت) لمدة ستة أشهر ، مارس – سبتمبر ١٩٦٣ .

(٤) تولى رئاسة الموساد خلفاً لهاريل فى مارس ١٩٦٣ حتى عام ١٩٦٨ .

(٥) أشهر النساء فى تاريخ الموساد ، عملت ابتداء من ١٩٤٥ ، وأطلق عليها لقب الأسطورة الحية ، وكان هاريل يعتمد عليها فى أعقد العمليات السرية ، وماتت إثر حادث فى عام ١٩٧٠.

وتلقينها فنون التجسس ، وطرق التنقيب عن ضعاف النفوس، اصطياد الخونة وأساليب السيطرة عليهم .

أربعة أشهر كاملة فى نتانيا أخضعت أثناءها لدورات مكثفة فى التمويه والتخفى ، واستعمال المسدس ، واستخدام جهاز اللاسلطى فى البث بشفرة معقدة ، تستند إلى حروف من كلمات رواية (الأرض) للأدبية العالمية (بيرل بك) وأطلعوها فى الموساد أيضًا على ملف كبير متخم بالتقارير، يضم أعمال زوجها القتيل فى خدمة إسرائيل .

هكذا شحذوا همتها وأشعروها بأهمية دورها فى لبنان ، وذلك للحد من العمليات الفدائية المتكررة التى تجئ عبر الحدود مع إسرائيل .

وفى ٢٣ يناير ١٩٥٩ غادرت نورما تل أبيب إلى روما ، وكان فى استقبالها الشخص نفسه الذى قابلها عند مجيئها من نيويورك ، فتسلمت منه وثيقة سفرها اللبنانية وطارت إلى بيروت ، بعدما قضت ثلاثة أيام تشاهد معالم المدينة العريقة.

عشر سنوات قضتها نورما عساف فى لبنان تطارد الفلسطينيين، وتنقب عن ضعاف النفوس بين سكان الجنوب ،

تساعدها فى مهامها فتيات ذوات حسن وجمال أخاذ ، ينتشرن فى كل أرجاء لبنان ، منتدياتها ، وكباريهاتها ، وشواطئها ، وفنادقها ، البعض منهن يهوديات يعرفن حقيقة نورما عساف ، والأخريات أما مارونيات أو أرمنيات يجهلن شخصيتها ، لكنهن ينقدن طواعية لرغباتها أمام سطوة المال وسحره ، ويجتهدن فى اصطياد الجنوبيين فى بيروت ، والفلسطينيين اليائسين من سكان المخيمات.

عشر سنوات وشبكة نورما تبحث عن الخونة الذين يسهل إخضاعهم بالجنس والمال ، فتطويهم طيًا ، وتزرعهم فى جب الخيانة لخدمة إسرائيل .

وكان (أحمد ضاهر) الباحث عن فرصة للشهرة والثراء، أحد هؤلاء الذين تصيدتهم نورما بمهارة .

فماذا حدث بعد لقاء فوار أنطلياس ؟

إن صحـرائى انشـقت

بعد جلسة فوار أنطلياس أنطلق أحمد ضـاهر بنورمـا الحسناء إلى شقتها ، مارا بطريق المرفأ ومخترقا حى المزرعة حتى الأوزاعـى على الكورنيش .

أمرته بالتوقف أمام إحـدى البنايـات العاليـة ، وطلبـت منـه أن يزورهـا بشـقتها فـى اليـوم التـالى ، حيـث تكـون قـد أجــرت عـدة اتصالات بشأنه مع بعض الملحنين .

هكذا أمضى ابن الجنـوب ليلتـه يحلـم بـالمجد ، وينـتظـر موعـد اللقاء على أحر من الجمر ، فى ذات الوقت الـذى كـانت فيـه نورمـا تضـع خطـطها وتنصـب شـباكها لاصطيـاده .. إذ أدركـت أنـها أمــام جنوبى قانط يبحث عن فرصة العمر .

وما أن حان موعد زيارته فى اليوم التـالى، إلا وكـانت فـى أبـهى زينتها ، ووقارها.

فتحـت لـه البـاب خادمـة تضـج بالأنوثـة .. قادتـه إلى الصـالون فانبهر بروعة الأثاث وفخامة الديكور ، وتوقف عند لوحـة كبـيرة ذات إطار محاط بشريط أسود .

كانت اللوحة لشاب يبدو فى عنفوانه علقت حول رقبته عناقيد من الورد ، وأبانت ابتسامته الواسعة المتألقة أثار جرح قديم ممتد لأسفل ذقنه .

- (بيار ، زوجى) .

انتفض أحمد ظاهر واقفًا وهو يقول :

- (الله يقدس روحه) .

كانت ترتدى فستانًا طويلاً من الدانتيل الأسود ، وثمة حزن بالغ يجسم على ملامحها برغم ابتسامتها.

جلست قبالته فى وقار أجبره على طرد ما فكر فيه بالأمس ، لما غزته الرغبة أمام مفاتنها ، واندهش وقد لاحظ أنه يجلس على حافة الكرسى فى أدب جم .

أخبرته بأنها اتصلت بشأنه بالملحن المعروف (ريمون وهيب) ، ووعدها بأنه سيستمع إلى صوته بعد عودته من أثينا خلال أسبوعين . وقالت أيضًا أنها اتصلت بالفنان (وديع الصافى) فوجدته يحيى حفلاته بأمريكا.

وعندما دخلت الخادمة الفاتنة تدفع أمامها عربة الشاى ، تعمد ألا ينظر إليها ، واتجه ببصرة إلى الأرض ، فقد كان ثوبها

القصير ذى الحمالات مقـور الصـدر ، يفضـح نـهدين متوثبـين فـى انحناءتها الطويلة .

نفرت أعصابـه فـى ثـورة فتصبـب منـه العـرق ، وأخـذ يفـرك أصابعه كطفل أغر ، ولم يدر لماذا خطرت بباله زوجته ربـاب فـى تلك اللحظـة بـالذات ، وأجـرى مقارنـة سـريعة وسـخر فـى نفسـه لمجرد أن قارنها بالخادمة .

(ربـاب ؟ لا وجـه للمقارنـة أيـها الأبلـه .. بقـرة ضـامرة الضـرع والجسد، تقارن بغزال يتراقص رقصًا فى مشيه؟!).

وأخذ يشدو :

(إن أعصابى انتهت لا شئ باق .

فاعشقينى.

أبد الساعات رقصًا .

واغمسى أظافرك البيضاء.

فى عمرى .

ففيه تقرع الأجراس .

تحتد الطبول .

آه كم أصبحت مجنونا :

وكم أحتاج أن أبكى على صدر دفئ ؟

يأوينى ..

أنا الطفل الخجول .

فصحرائى انشقت .

وماضى احتضار موحش .

فى ذكرى بيار

هتفت نورما فى إعجاب :

ـ (صوتك شو كتير حلو .. ليش بدك تبكى على صدر دافئ ؟

افتكرت رباب ها الغيبة ؟

زفر قائلاً:

ـ (هون ما فى فرح) «مشيرًا إلى صدره».

تنهدت:

ـ (إنشا الله حياتك جميلة) .

قال وهو يرنو إليها متسائلاً:

- (عيونك بتطق مرار) .

امتقع لونها وارتعشت خلجاتها ، وتنهدت فى أسى :

- (اليوم مات بيار من تمنتاش سنة .. هالذكرى ما بتموت .. كان بحب لبنان وترابه ، وبحب كل العرب ، اتنعصر حالو (انقلب) كتير واتبدل .. وصار يكره اليهود ويشرُدونا (يسرح بفكره حتى وأنا معه) وياه.

بعد لحظات صمت أكملت:

- (كنا عم نتمشى بالكورنيش طلت دموعه .. سألته شو صار ؟ حرقتنى زفراته وبحرقة لكز «ضرب» الأرض وقال :

- هناك بفلسطين المدابح .. هناك فيه تقتيل ومعتقلات ومشردين، وكل العالم طق حنك[1] ما فى .. وهون (هنا) ، فيه رقص وطرب وسكرانين يدوروا عالبارات . الله يبيد اللى ما يدافع عالعروبة) .

أجهشت بالبكاء وتكلمت بصوت يجئ من قرار بعيد :

- (مرت ليام وما عاد إلو أثر ، فارقنا بيار عالجنوب واندار مع

---

(١) طق حنك : أغلق فمه .

الفلسطينيين يضرب فى اليهود ، ولما صار يمرق عالحدود فى الليل ، فجّره لغم مزروع ، وما عثر حدًا على رجوله (رجليه) ومات منزوف).

كان جسدها يهتز فى انفعال وهى تصف مشهد وفاة زوجها ، وكيف حملوه إلى المستشفى بدون أطرافه السفلية .

لقد أجادت دورها ببراعة لا تملكها إلا ممثلة محترفة ، واستطاعت أن تستحوذ على تعاطف ضاهر وإشفاقه .

وبلهجة تستدعى فيها وطنيتة طلبت منه أن يساعدها لتنتقم لزوجها ولكل الشهداء من الإسرائيليين.

ولما أبدى عدم فهمه لما تريده بالضبط، قالت إنها تجد لذة كبرى وتشعر بسعادة غامرة، كلما قرأت أو سمعت عن عمليات الفدائيين التسللية عبر الحدود ، ولكم تتشوق لمساندتهم والوقوف إلى جوارهم رغبة فى الانتقام ، وتعاطفًا مع قضيتهم . مبدية استعدادها لإمدادهم ببعض المال ليتواصل جهادهم.

ثم أظهرت إعجابها الشديد ببطولات رجال المقاومة فى الجنوب، وسألت ضاهر فيما يشبه الانبهار :

ـ كيف يعيش هؤلاء الأبطال ؟

ـ كيف يتحركون ؟

ـ كيف يتدربون ؟

ـ كيف يتجمعون ؟

ـ ما الأسلحة التى تنقصهم ؟

العقل المغيب

ألهبت حماستها مشاعره فكلمها عما يعرفه ، وفشل فى الإجابة عن بقية تساؤلاتها لأنه – كما قال – عاش منكمشا فى بقالته ، لا يحفل بما حوله من تطورات تتصل بالفلسطينيين منذ ترك الجيش اللبنانى .

عند ذلك أنهت الحديث عن الجنوب والفلسطينيين والمقاومة، وطافت به فى رحلة رائعة حول عالم الفن وأحلام الشهرة ، ثم نقدته مائتى ليرة ليقتنى ملابس جديدة تليق بمقابلة الفنانين الكبار .

وفى زيارته الثانية لشقتها ، استقبلته خادمتها جورجيت بملابس تظهر أكثر مما تخفى فمشى وراءها إلى الصالون مشدوها بترجرج مفاتنها ، وثار بداخله وحش الرغبة يعوى عطشا . وانبأته بأن سيدتها فى زيارة لمخيمات اللاجئين فى (صور) وهى

على وشك العودة ، فلما جاءته بكأس من العصير البارد اعتقد أنه سيخفف لسع النار بداخله ، لكن هيهات أن تخمد رعشة الوطر بكأس بارد .

وفى قمة تصارع أفكاره دق جرس التليفون فنادته ، كان صوتها من بعيد يأتى آمرًا :

- (أنا هون بـ «صور» .. بتنتظرنى يا ضاهر) !.

أحس بلذة تسرى بأوصاله ، فما بين صور وبيروت يربو على الثمانين كيلو مترًا ، مسافة تقطعها السيارة حتى البيت فى ساعة ونصف الساعة على الأقل.

إنه بلا شك وقت ضئيل سيمر سريعًا على ملهوف مثله ، يجمعه مكان مغلق بأنثى بركانية المفاتن تتبختر فى استعراض جيئة وذهابًا فيلعق الشفاة الظمأى ، وتتصاعد من رأسه أبخرة الجحيم المتلظى .

حاول كثيرًا أن يتماسك أمامها ، أو يتظاهر بالثبات والهدوء ، لكن شيطان الرغبة كان يعض فى أعصابه وينهش مقاومته بلا رحمة ، فيستسلم ابن الجنوب لابنة الموساد المدربة الماهرة ، وقد تحول بين أحضانها اللافحة إلى طفل مشاغب أغر ، استلذ طعم النشوة ببحرها لا يريد شطًا ولا نجاة .

لم يجل بناظريه بعيدا عنها ، أو يلحظ الكاميرات الدقيقة وأجهزة تلقط الأصوات المبثوثة بالحجرة ، تسجل قمة لحظات ضعفه ، وشذوذه، فظمآن مثله لا يستطيع عقله المغيب ترجمة العالم حوله . ذلك أن إعصار الرغبة أعماه ، وأغرقه فى جاهلية المدارك وأغوار اللاشعور .

القرار الحاسم

كانت نورما قد تغلغلت كثيرا داخل البيئات الاجتماعية الفلسطينية فى لبنان ، بادعائها التعاطف مع قضيتهم ، ودأبت منذ سنوات عملها لصالح الموساد ، على زيارة مخيمات اللاجئين[1] الفلسطينيين للوقوف على مشاكل سكانها ، والانفاق بسخاء على المرضى والأطفال الأيتام ، فحظيت بذلك على حب سكان مخيمات الجنوب لما لمسوه منها من ود وتعاطف .

هكذا كان الأمر فى الظاهر ، وما لم يعلمه أحد أنها كانت تعد تقارير وافية تبعث بها إلى الموساد أولاً بأول ، هذه التقارير لم تكن سوى وصف دقيق وتفصيلى لأحوالهم وتوجهاتهم ومعنوياتهم ،

---

(١) توجد بخلاف مخيمى صبرا وشاتيلا ببيروت مخيمات للاجئين فى جنوب لبنان أهمها عين الحلوة والرشيدية والبرج الشمالى والبص. أما فى الشمال فكان هناك مخيم «البداوى» فى طرابلس.

مستعينة فى ذلك بشبكة هائلة من العلاقات مع رموز الفلسطينيين واللبنانيين ، تمكنت من خلالها من الحصول على أسرار هامة أفادت مخابرات إسرائيل كثيرًا .

هذا ما حدث أيضًا بعد ذلك فى السبعينيات ، عندما أرسلت الموساد الجاسوسة الأردنية (أمينة داود المفتى) لجلب معلومات

ولما عادت نورما إلى بيروت بعد رحلة صور ، ابتسمت مرحبة بأحمد ضاهر ، وسألته هل قامت جورجيت بالواجب تجاهه؟

فكانت نظرة الرضا على وجهه تفضح جرعة (الواجب) التى حظى بها .

كانت ترتدى ملابس أنيقة محتشمة انتقتها بعناية ، وغلفت رنة حزن صوتها وهى تقول له:

(أعصابى لم تعد تحتمل ما أراه فى الجنوب) .

وانتبه لحديثها وهى تفيض فى وصف المخيمات ، وحالة البؤس التى عليها سكانها .

وعندما تطرقت فى الحديث عن الأطفال اليتامى ، سرحت ببصرها إلى ما وراء الجدران .. وترقرقت دموعها .. ثم طفرت بلا وعى منها .. فاختنق صوتها متهدجاً مشحوناً بالأسى والألم،

وانتابتها نوبة من نحيب مرير .. فقد هاجمتها غصبًا عنها ذكرى موت طفلها الجنين .. وتذكرت أمومتها المحرومة ولوعتها شوقًا لطفل تلده .

تذكرت أيضا عمرها الزاحف للخريف وقد تساقطت منه السنون ، وينهش جمالها الزمان بلا رحمة لولا المساحيق التى تلطخ بشرة هاجمتها تجاعيد الحزن والغضب .

أذكى شجنها لهيب الحسرة بداخلها . فاستسلمت لقبضة الضعف تطبق على ثباتها فتسحقها سحقًا .

لكن ، أى صنف من النساء تلك المرأة ؟ ..

لقد توقفت فجأة عن النحيب ، وتبدلت نظراتها الرقيقة الحانية إلى أخرى عنيدة .. شرسة ، ماكرة ، فجففت دموعها ونطقت بقرارها :

ـ (الحين برتب تذكرتين لأثينا ، بدى أملص«أهرب»من هالكرب يومين باليونان ، وصار لازم ترافقنى).

بدون إرادة وافق فورا على السفر معها ووجد نفسه إلى جوارها بالطائرة.. وكانت خطة السيطرة عليه وتجنيده فى اليونان قد تم وضع آخر فصولها ..تماماً مثل عشرات من اللبنانيين رافقوها

قبله طواعية إلى (مصيدة العسل)[1] طوال رحلتها المثيرة فى عالم الجاسوسية .

كانت خطة السيطرة والتجنيد التى تم إقرارها، تعمد على أسلوب (الصدمة)، الصدمة القوية الفجائية Strok of Lightning التى تشل وعى الضحية ، وتفقده السيطرة على توازنه العقلى فيستسلم .

هذا الأسلوب ناجح جدًا وناجز فى حالات معينة دون غيرها، وقد أجادته المخابرات السوفييتية K.G.B بمهارة عندما كانت قوية ، وترفضه - أحيانًا - أجهزة الاستخبارات الأخرى معتمدة على نظريات خاصة بها ..

إلا أن الموساد خاضت كل الأساليب والنظريات المختلفة، وطورتها . وكانت نورما قد برعت إلى حد التميز والاحتراف فى أسلوب التجنيد بالصدمة ، الذى يعد من أعلى درجات التمكن المهنى التى تتطلب ذكاء خارقًا يفوق الوصف.

---

(١) مصيدة العسل Honey Trap ، مصطلح مخابراتى لعملية الإيقاع بأحد الضحايا بغرض السيطرة عليه، من خلال عميلة حسناء مدربة وشقة مجهزة فنيا بأجهزة التصوير وتسجيل الصوت، وتفوقت الموساد فى هذا الأسلوب فى أغلب عمليات تجنيد العملاء والجواسيس العرب، حيث يكون الجنس هو مفتاح السقوط السريع والاستسلام.

مصيدة أوسيانوس

حلقت الطائرة فوق الأكروبول Acropolis [1] فى دائـرة كاملة، ليتمكن المسافرون من تصوير القلعة من كل الزوايـا ، وفـى سـاحة المطـار الخارجيـة كـانت تنتظـر سيارة ليموزيـن فخمـة، بجانبــها وقفت (أرليت) .. «ملكة الإذابة» .. رفيقة نورما ومحطـة الخـداع المثيرة ، التى ليس لها حل فى جمالها.

كـانت أرليـت فـى الرابعـة والعشـرين مـن عمرهـا تقريبـاً، وإن كانت ملامحها الطفولية البريئة تدل على أنها فتـاة مراهقـة، بيـد أن جسدها البرونزى وصدرها الناهد وانفراجة شفتيها، بالإضافـة إلى معالم أخرى كثيرة مثيرة، كانت تجعـل منـها نموذجـاً أسـطوريا للأنـوثة التى تجمعت بها فى ثراء ما بعده ثـراء.

صـافحت أرليت ضيفـها ونظراتـها تختـرقـه ، فألهبتـه ، وأذابـت عقلـه فـى لحظـات معـدودة ، وفـى بـهو فنــدق (سـالونيكا) ظـهر (غسان) مهندس الإعداد والتنسيق .. فتعـارفوا جميعـًا علـى أنــهم أصدقاء نورما .

(١) اكروبـول : قلعـة تقـع فـوق تـل بأثينـا .. واسـتخدم هـذا الاسـم للقـلاع فـى المـدن الإغريقية الأخرى ومدن المسـتعمرات الإغريقيـة .. وتحتـوى الأكروبـول علـى بقايـا اثرية قديمة أهمها معبد الإلهة أثينا .

وفى أثينا القديمة ـ البلاكا ـ حيث الملاهى الليلية على شاطئ البحر وقاعات الرقص والأوبرا وعروض الصوت والضوء، تناولوا العشاء فى ملهى «تافينو كالو كيرينو» بشارع كيكروبس الشهير بملاهيه المتلاصقة ، حيث تتصاعد الأنغام الصاخبة ، ويتألق الرقص الفولكلورى مجتذبا السياح الذين انسجموا مع هذا الجو المرح ، فشاركوا فى الرقص الشعبى على أنغام (البوزوكيا)[١] .

وبينما تصدح الموسيقى وتتعالى الضحكات ، أومأت أرليت إلى ضاهر فقاما إلى الرقص ، قاذفا بشرقيته وبخجله، وطفق يرقص فى نهم بلا كلل.

ويمضى الوقت بهما سريعًا فيطل الفجر .. ويترنح ضاهر حتى يصل إلى سريره ، لينام بعد ذلك نومًا ثقيلاً ، استعدادًا لرحلة (أوسيانوس).

كانت أوسيانوس[٢] باخرة ركاب عملاقة ، وتحتوى على ٢٣٥ حجرة مكيفة ، وحمام سباحة للاسترخاء ، وصالونات فخمة وبارات ومطعمين .

---

(١) البوزيكا : نسبة إلى آلة البزق الموسيقية
(٢) اشتق اسمها من (أوسيانوس) إله البحر الكبير (المحيط) التى زعمت الأساطير الإغريقية أنه يطوف البحر ويحرسه .

اجتمع الأصدقاء الأربعة على ظهر الباخرة ، وكانت نورما لا تفارق مجلس غسان ، بينما انفرد ضاهر بأرليت كما تمنى . وبعد العشاء على أنغام الموسيقى الحالمة.. اختفيا عن الأنظار فوق السطح حيث أضواء النجوم وآهات العشاق وطرقعات القبل . حدثها كثيرًا عنه نفسه فأفردت له مساحة كبيرة من الألفة قربتهما ، ونام متأخرا يحلم حتى الصباح الباكر بأفروديت، حتى أيقظته بنقرات رقيقة من أصابعها على بابه :

ـ (هايدى رحلة يا كسلان ، نحنا عالسطح منشان بنشوف «الميكونوس» الجميلة) !.

فرت من أمامه تجرى ضاحكة ، وعلى عجل ارتدى ملابسه وأدركها .. حيث أطلت بعد قليل جزيرة ميكونوس Mykonos بشوارعها الضيقة البراقة ، وبيوتها الكلسية البيضاء المنتشرة على مرتفعات متدرجة حتى البحر. إن مساحة هذه الجزيرة تبلغ حوالى ٤٠ كيلو مترًا مربعًا. لكن جمالها الأخاذ حمل عددًا من الأدباء والفنانين على اقتناء بيوت لهم فيها[1] .

---

(١) ومن أشهر هؤلاء : الكاتبة الفرنسية فرانسواز ساجان ، والأديب الكبير كلانفيل هيكس ، والفنانة جان سبرج وغيرهم . والمدهش أن هذه الجزيرة الصغيرة فى بحر (إيجة) تحوى ٣٦٥ كنيسة ، زعمت الأقاويل أن المحاربين القدماء كانوا كلما شنوا حربا قدموا نذرا ببناء كنيسة إذا ما عادوا منتصرين .

البركان الصاخب

والجزيرة برغم مساحتها المحدودة بها مطار للطائرات الصغيرة «٤٥ دقيقة بالطائرة من أثينا»، وتتميز بالشواطئ التى تجرفها مياه البحر وتجعلها نظيفة نقية، ومنازلها البيضاء ذات شرفات بحواف صفراء وزرقاء، وليست هناك فنادق رخيصة بالمعنى المفهوم.

لكن عندما تطأ قدمك أرض الجزيرة ستهل فى الحال عشرات النسوة اللاتى يرتدين ثياباً سوداء، يعرضن الإقامة فى أكواخهن البسيطة المؤثثة والنظيفة، فضلاً عن رخص أسعارها، مقارنة بالبنسيونات وفنادق الدرجة الثانية المرتفعة الثمن.

فهناك بنسيون فيليبى Philippi الذى يعرف أيضاً باسم «أنجليك كونتيزا» وبنسيون شاطئ ميكونوس، وفنادق منها أفروديتى والكيستيس وثيوكسينيا التى أعدت على نظام الشاليهات[1] .

وعندما نزل الركاب إلى الشاطئ، حيث مئات من المظلات والمقاعد والمناضد، قادهم الدليل إلى شاطئ الفردوس بواسطة أتوبيس صيفى مفتوح الجانبين، وطافوا بالجزيرة يستطلعون

(١) دار ميوزيك، بيروت: مرشد السائحين. الطبعة الأولى ١٩٨٣ م .

معالمها، ويتأملون طواحين الهواء البيضاء، والكنائس البيضاء، وكل مبانى الجزيرة البيضاء.

جلس البعض فى حانة «أنتونينى» بالميدان الرئيسى، بينما اتجه البعض الآخر لأشهر محلات الجزيرة للتحف ومشغولات أصداف البحر، وهو محل «بانوس» Panos ، حيث يوجد بالقرب منه أفضل أماكن الشراء للمجوهرات فى اليونان، محل «لالاونيس» Lalaounis.

وعند انتصاف النهار وارتفاع درجة حرارة الطقس ، ارتدت أرليت البكينى ، وحملق ضاهر مذهولاً يتحسس بعينه جسدها، لا يصدق بأن أفروديت بعثت من جديد.

فانبجس منه العرق وقد ثارت رغبته ، وقذف بنفسه خلفها فى (البيسين) لعله يطفئ لهيب جسده لكن الماء ما أزاد إلا نارًا ولفحًا .

وفى اليوم التالى وصلت الباخرة إلى كريت ، وهى أكبر الجزر اليونانية وتسمى أيضا جزيرة زوربا Zorba التى تقع هلى مسافة متساوية تقريبا بين أوربا وآسيا وأفريقيا. إنها جزيرة «الجريكو» ELGreco الفنان الأشهر الذى ولد له «نيكوس

كازانتيزا» الذى كتب كثيرا من القصص الأدبية المرموقة قبل أن تصبح إحداها - زوربا اليونانى - فيلما سينمائيا شهيرا.

لقد كانت الحضارة الأوربية الأولى فى كريت واستمرت ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد، أما كل بقايا تلك الحضارة فهى اطلال قصر (كنوسوس) الذى كان مؤلفا من ١٢٠٠ غرفة ، وخمسة طوابق، ولا يزال يقف عرش الملك الخاص بجوار حائط غرفة العرش بعد كل تلك القرون.

ثم زاروا متحف هيراكليون، بوسط المدينة وبعد الظهر أبحرت الباخرة عائدة إلى أثينا .

صعدت أرليت بالبكينى إلى السطح، وبينما بركان رغباته يصطخب فى ثورة هادرة، كانت الباخرة تمر بالقرب من جزيرة (سانتورينى) المشهورة بالبركان الذى يحمل اسمها! إنها مصادفة عجيبة أن يتقابل بركانان .. أحدهما خامد فى إحدى الجزر، والآخر يفور وينشط فى لحم امرأة.!

دفق من جنون

وسانتورينى Santorini ، ليست هناك جزيرة فى حوض البحر المتوسط تتصف بالجمال والروعة مثلها. ففيها بركان «أنكلادوس» الذى انفجر ذات يوم ممزقاً أحشاء الأرض فى ثورة لا يمكن وصفها!.فتكونت الجزيرة من الحمم السوداء والبنية، وتكونت أيضاً صخور سانتورينى العالية بارتفاع ٦٠٠ قدم.

كانت أرليت طوال رحلة الأوسيانوس تذيب الجمود بينهما تمهيداً للمعركة القادمة .. لذلك .. لم تتركه يلمس جسدها أو يحاول ، فقط شغلته وأشعلته وجعلته يرغب ويتمنى ، وينتظر ويتحرق .. فانكبت تحلل شخصيته، وتشرّح ما بأعماقه وفى نظراته الجائعة ، وكان هذا الجوع الذى وصل إلى قمم الخور فالأ حسنا لما قبل (الصدمة)!!

بالقرب من شارع بيلوبونيزوس Peloponnesus فى أثينا ، وهو شارع صغير يتقاطع مع شارع المترو بوليوس المتفرع من ميدان الدستور «سينتاجما»، يوجد سوق تجارى قديم يموج بالحركة والحياة . بإحدى بناياته المرتفعة نزل ضاهر بالطابق التاسع .

كانت الشقة مؤلفة من حجرة نوم واحدة وصالون ، شقة صغيرة متواضعة الأثاث تكفى لشخص واحد أو لشخصين ، أبقته فيها نورما ومنحته بضع دراخمات وسافرت إلى (كاستوريا) فى أقصى الشمال (لزيارة خالتها المريضة). هذا ما قالته له، على أمل أن تعود خلال يومين.

لكن الأيام تمر ولا تجئ نورما ، ووجد اللبنانى نفسه وحيدا لعدة أيام دون اتصال منها أو من أرليت .. إلى أن نفدت دراخماته وسيطر عليه الخوف والقلق. فهو غريب فى دولة غربية لا يعرف لغتها، ولا يملك مالاً يتعيش منه ، أو تذكرة سفر تعيده إلى وطنه .

وبينما هو فى سجن مخاوفه وتوتره وجوعه ، كان غسان فى الشقة المجاورة ومعه اثنان آخران ، من خلال شاشة صغيرة أمامهم كانوايشاهدون كل شئ فى شقته .

كان قد قرر الخروج مطلقاً من الشقة لكى يتجول فى المدينة . فالإغراءات كانت كثيرة ومتعددة تدفعه لأن ينفق من المبلغ الزهيد الذى بقى معه، وما كان يخرج إلا لشراء الطعام، الأقل سعرا بالطبع.

ومع مرور الوقت، والانتظار المرهق الذى يفتك بصبره، بدأ

يقتصد فى مطعمه حتى أنه اكتفى بوجبة واحدة، ثـم بـدأ يكلـم نفسه فى اضطراب وزهق، ولم يعد يستغرق طويلاً فـى النـوم، إذ كان نومه متقطعاً، تتخلله نوبات حنق يضرب أثناءها رأسه بيده، مظهرا ندمه لمغادرته لبنان إلى بلد غريب بلا نقـود كافيـة أو لغـة تعاونه على التحدث مع الآخرين والتفاهم معهم.

وعندما استحكمت أزمته ووصل التوتر النفسى إلى مـداه، بكـى فى صمت وهو يقضم أصابعه ندماً وحسرة، ثم أجهش بالبكاء فى مرارة ووهن. وشوهد وهو يرفع سماعـة التليفون عشرات المـرات كل يوم، ليتأكد من أن الجهاز يعمل وليس به أى عطل.

لكن الأمر كان يحتاج إلى وقفـة جادة نهائيـة تنـه هـذه المأسـاة، ويبدو أنه كان قد فكر جديـاً فـى حـل يخلصه مـن محنتـه، لذلـك فقد أدار قرص التليفون طالباً أرقاماً عشوائية، وكان يقول فى كل مرة إنه يريد التحدث مع السفارة اللبنانية.

الخائر العاجز

وفى التوقيت المختار والمحدد بدقة ، اتصلت به أرليت معتذرة آسفة، وذهبت إليه تحمل أكياس الطعام والعصائر ، فملأ معدته الخاوية وخرج معها إلى شوارع أثينا وحدائقها البديعة ، يملؤه الزهو وعيون المارة تحسده على فتاته الحسناء الفاتنة .. وتمنى وقتها لو أنه بقى إلى جوارها لا يفارها أبدا ..

ولأنه يعرف قدر نفسه ، ويخاف أن تصدمه ، سألها عن فرصة عمل فى اليونان، فوعدته أن تتكلم مع والدها حيث يمتلك شركة خدمات بحرية كبرى بأثينا ، وسيرحب به كثيرا كلبنانى مثله.

هكذا فهم منها أنها لبنانية الأصل، هاجر والدها إلى اليونان منذ سنوات حيث توسعت أعماله التجارية وأصبح من أشهر رجال الأعمال فى أثينا .. لكن الحقيقة التى كان ضاهر يجهلها، أن أرليت إسرائيلية لبنانية الأصل، لذلك تجيد التحدث معه بلهجته.

وبعد سهرة رائعة بأحد البارات صحبته إلى (مصيدة العسل) حيث بدت ثملة عن أخرها، ازدادت التصاقا به خشية السقوط وهو يقودها إلى غرفة النوم ، تفوح من جسدها البض رائحة

أريجية ، ترسل دفقًا متواصلاً من الرغبة تفقده عقله ، ولما تحررت من بعض ملابسها ثار بركانه .. وانجرف إلى فوهة عميقة يسبح فى لظاها تلذذًا .. واندهاشًا ؟

لقد كانت تمنحه القليل ليتكلم، ويفيض فى الحديث عن المقاومة اللبنانية فى الجنوب، وعن أشبال المخيمات الفلسطينية الذين يتدربون على حمل السلاح والقيام بهجمات ضد الدولة الصهيونية، بدعوى أنها تود مساعدة صديقتها نورما للانتقام من الإسرائيليين.

وفى غمرة اصطخابه وفورانه، واصل الحديث، واعدا إياها بجمع كل ما تريده من معلومات عن المقاومة والقيادات الفلسطينية.

و.. بينما هما عاريان فى الفراش .. متلاصقان فلا يمر الهواء بينها، حيث تتصاعد نشوته شيئًا فشيئًا ، فوجئ بنورما فوق رأسه ، ومعها غسان ورفاقه .

انهمدت نشوته على حين فجأة ، وارتجت به الأرض كأن زلزالاً وقع، فقد كانت نظراتها الحادة شعاعات من التوحش ، وبصوتها حشرجة الهلاك.

قالت له فى الحال مشيرة إلى أرليت التى انسحبت عارية من الحجرة :

ـ (هايدى إسرائيلية .. من الموساد .. كليتنا «كلنا» من الموساد، وبنريدك ويانا).

ـ (.. مو .. موساد) ؟

تجاهلت إجابته وسألته:

ـ (شو صار رأيك) ؟

(قذفت إليه بصوره العارية مع جورجيت ولوحت له بعدة شرائط مسجلة).

ردد فى ذهول:

ـ ماذا تريدون ؟

بلهجة آمرة قالت:

ـ (وقع عالإيصال نحنو ما بنمزح)

أخرجت من جيبها ورقة مطوية وقلمًا .

وهو ما يزال مذهولاً:

ـ إيصال ؟

(كان كلما جذب الملاءة ليستر نفسه بها شدها أحدهم فبقى عريانا) .

صارخة فى شراسة وهى تقذف إليه ببعض الدولارات:

- (ما بدنا تعطيل شوها لفرك ؟ وقع إيصال استلام المكافأة..)

إن الشخصية الخائرة (Asthenic) فى نظريات علم التخابر وعمل المخابرات .. تطلق على الشخص الذى أفقدته الصدمة قدرة التفكير .. ففى ظل الكارثة التى حلت به يصاب العقل بالذهول وتغيم فى الشعور (Stupor) ، مع غياب الحس وبلادة الإدراك (Sluggish) ، والانتقال من أحد جوانب المواقف إلى جانب آخر .. وهو ما يطلق عليه فى علم النفس مصطلح (الاتجاه المجرد) (Abstract attitude) .

ومن خلال بطء العلملية العقلية .. وعدم القدرة على التصرف فى مثل هذه المواقف ، مع ظهور أمارات اضطرابات آلية ، يسهل السيطرة علي الشخص الخائر ، والتحكم فى إرادته المشلولة بنسبة فائقة النجاح .

وقد كان هذا بالضبط هو حال ضاهر الذى فاجأته (الصدمة) فعجز عن مجابهتها . واستسلم لمصيره خائرا .. منهارا .

ودون أن يدرى ماذا حدث .. كأنه الحلم ، وقع أوراقًا لا يدرى بالضبط ماذا كتب بها ، وخرجت نورما تعلو وجهها ابتسامة الظفر ، وعادت أرليت إليه من جديد ، ولم تكن ثملة كما كانت تدعى ، بل كانت تحمل كوبًا من «العرق» اللبنانى، وطبقًا من (المازاوات)[1] .

كان على أرليت أن تبقى إلى جواره ، خلال تلك اللحظات بالذات، حتى يفيق من ارتجاجة الصدمة وهى معه، مستغلة هذه المرة أقصى ما عندها من نعومة وحنان ورقة .

ولأنها مارست مهامًا عديدة سابقة كتلك ، فالأمر بالنسبة إليها أصبح مألوفًا .. وطبيعيًا . فقد كانت تمتلك خبرات عالية اكتسبتها «فن» معاملة «المصدومين» لتليينهم .. وتمهيد الطريق للخطوات اللاحقة.

إنها بحق خطوات شيطانية بدأت فى فوار انطلياس ، ثم بشقة نورما مع جورجيت ، وأخيرًا مع أرليت ذات المهمتين ، الإذابة .. والتليين .

---

(١) المازاوات: يطلق عليها فى مصر« المزّة» ، وهى أطباق الفول السودانى واللب المملح، والسلاطات والجبن والمخللات التى يرى هواة «الشرب» ضرورة تواجدها على المائدة إلى جانب الكأس.!!

ذلك إنه عالم المخابرات والجاسوسية الذى وصفه الكاتب المعروف (هانسون بولدوين) قائلاً :

- (إن نظام المخابرات الصحيح عبارة عن منشأة ذات إمكانات هائلة لكل من الخير والشر ، ويجب أن تستخدم الرجال والنساء وكل الوسائل .. فهى رقيقة ، وشرسة ، تتعامل مع الأبطال ، والخونة .. وهى ترشى ، وتفسد ، وتختطف ، وأحياناً .. تقتل .. إنها تقبض على قوة الحياة والموت .. وتستغل أسمى وأدنى العواطف ، وتستخدم فى الوقت نفسه الوطنية حتى أعظم معانيها.. والنزوات فى أحط مداركها !!).

بهذا وقع أحمد ضاهر فى الشرك دون أدنى مقاومة .. فقد مورست معه نظريات علم النفس فى الاستحواذ والسيطرة حتى أذعن للأمر .. واستسلم لفريق التدريب صاغراً حتى يتمكن من تلقينه أصول المهنة الجديدة.

- فكيف بدأت رحلة أحمد ضاهر المثيرة فى عالم التجسس على الفلسطينيين ؟

- وكيف جند خونة آخرين لصالح الموساد ؟

العائد الجديد

تعهد به على الفور رجال الموساد فى أثينا[1] .. حيث أخضعوه لدورات تدريبية فى فنون التجسس وكيفية الامتزاج بالفلسطينيين ، ولأنه - كطبيعة بشرية - ربما قد يتمرد على واقعه بعدما يفيق من أثر الصدمة ، أفهموه باستحالة الإفلات منهم .. وهددوه بأن عملاءهم فى لبنان لا حصر لهم .. ولديهم القدرة على إلحاق الأذى بمن يتمرد أو يرفض الاستمرار معهم .. وقد يصل الأمر إلى حد قتله أو قتل أولاده . ولأنه جبان فقد خاف مرتعباً وانكمش كالقط الصغير الذى أخذ حماماً فى الشتاء.!! .

هكذا ألقوا الرعب بقلبه منذ اللحظة الأولى ، ووعدوه بالثراء الفاحش إذا ما أخلص لهم .. كما أكدوا له مقدرتهم الكاملة على حمايته وعدم التخلى عنه فى أية حال، وصيَّروه «كالعجينة» فى

---

(١) أثينا: جاء فى الميثولوجيا الإغريقية القديمة، أنها ربة الحكمة والميزان (العدل) والحرب وحامية الصناع، وعرفت بأسماء كثيرة منها« العذراء، وذات الوجه الحسن»، ذلك لأنها آثرت أن تبقى دون زواج حتى لا تدنس عذريتها. وقد أقام لها المثال الشهير «فيدياس» أكبر معبد عرفته بلاد اليونان فى تاريخها وهو معبد البارثينون أى «العذراء» فوق الأكروبول، ويضم المعبد تمثالاً ضخماً؟ من العاج والذهب. وكان يرمز لأثينا بطائر البومة رمز الحكمة والمعرفة فى اليونان القديمة. وقد نسبت الأساطير إلى أثينا أنها أول من جاء بشجرة زيتون إلى بلاد اليونان. وأثينا هى ابنة زيوس سيد الآلهة الإغريقية من زوجته «ميتيز» ربة الحكمة.

أيديهم يشكلونها كيفما شاءوا.

فتجمد الدم بأوردته وتوحش بداخله الخوف ينهش أعصابه.. وكان كلما هدأ قليلاً ارتعشت أطرافه وخلجاته وغرق فى محيط من هموم.

ولما أطلقوا عليه ملكة الإذابة، أرليت، لتهدئته كانت رغبته فيها قد تكسرت، وانعقدت إحساساته كرجل أمام أنوثتها المتوقدة، فلم يعد يثيره ذلك الجسد الأفروديتى الذى كم حلم باحتوائه، ودفئه.. ومذاقاته.

منهك القوى وفير الهموم، حمل معاناته الثقيلة عائدا إلى بيروت، وأسرع إلى منزله فى «عيترون» الحدودية يحفه الشوق لأسرته والخوف أيضاً ، وكم كانت دهشته عندما اكتشف أن زوجته رباب لها مذاق جميل مسكر، مذاق بطعم آخر يحن إليه ويختلف كثيرا عما ذاقه مع جورجيت وأرليت.

قرأت رباب فى عينيه تبدله .. وأحسست بأن العائد ليس هو الزوج القديم ، إنما شخص آخر يفيض حبا، وحنانا ، وحزنا. بدوره حاول أن يبدو طبيعيا لكن الحمل الثقيل الذى ينوء به يفصح عن أرقه وكوابيس خوفه، ويفضح أسايره، وفشلت رباب

فى أن تجعله يبوح بما يؤرقه، وانهارت محاولات انتشاله من رعب الرؤى التى تؤرق مضجعه.

تزامن وصوله من أثينا بـالأموال والهدايا مـع وصـول صديقـه الشاعر كمال المحمودى من باريس مفلساً، محطماً، فجمعـهما لقـاء حار خيمت عليه ذكريات الشباب وأحلام الشهرة ..

أمـا أحمـد ضـاهر .. فقـد اختلـق قصـة طويلـة مـن الكفـاح والمثابرة، زاعماً لصديقه أنه برغم نجاحه فى الحصول على المال، فقد فشل فى حلم حياته أن يصير مطرباً.

ولـا شـجعه المحمـودى علـى أن يبـذل محاولـة جديـدة بعدمـا امتلك المال كما يقول .. ضحك ضاهر فى سخرية وقال له بـأن فـى ذلـك مغـامرة خاسـرة، ذلـك لأن ضـاهر الفنـان قـد مـات واجتـثـت جذور أحلامه لى الأبد .

عجز صديقة عن فهم ألغازه ، واعتقـد فـى نفسـه بـأن صراعـه من أجل البقاء أنهكه كمثلـه تمامـاً، ولابـد أنـه سـيعود ذات يـوم إلى حلمه القديم.

نمــوت .. ولكــن

شـهر ونصف وضاهر فــى حالــة انعـدام وزن لا يــدرى كيــف سيصير به الحال أو إلى أين يقوده مصيره .. فثمة موعد مع نورمـا بإحدى مقاهى القاسمية شمـالى صور ، علـى أثـره سـتتحدد أشـياء كثيرة .

وفى الطريق إلى صور من عيترون، شاهد سيارات عديـدة تقـل أفـواج الفدائيــين الفلسـطينيين بزيـهم العسكرى تتحــرك شمــالاً وجنوبـاً ، يغنـون الأناشـيد الحماسـية، وتعلـو وجوهــهم نـظـرات التحدى والإرادة .. والصمود.

عبرت به السيارة جسر القاسميــة ـ أكبر الجسور وآخرهـا علـى نهر الليطانى قــرب المصب فـى البحـر المتوسـط ـ وغادرهـا أحمـد ضاهر إلى جانب الجسر .. حيث خط الحجاز الذى أقيم عـام ١٩٠٨ ، ليصل استنابول بالمدينة المنورة.

ولمـا وصل إلى مـا قـرب المصب، حيـث يقـع المقهى المطل علــى بساتين الموالح من جهــة، ومصـب النـهر مـن جهـة أخـرى. لم تكـن نورما بانتظاره فجلس يطوف بأفكاره غارقـاً فـى قلقـه، متجـاهلاً روعـة منظـر المـاء والأشـجار والطيـور مـن حولـه، وانتفـض فجـأة

عندما أخبره الجرسون بأن سيدة تركت لـه رسـالة . كـان الخطـاب يحمـل أمـرا صريحـا بجمـع أكـبر قـدر مــن المعلومــات عــن حركـة المقاومة .. واللقاء فى اليوم التاسع والعشرين من الشهر.

بقيت أربعة أيام على الموعد المقرر، وكان عليـه أثنـاءهـا أن يعـد تقـاريره ويسـجل مشـاهداته، واسـتلزم منـه ذلـك أن يقـوم بعـدة تحركات لأصدقائـه بـالقرى الحدوديـة، يستجلب الأخبـار ويسمع بنفسه ما يردده الناس عـن أبطـال المقاومـة، وقـام برحلتـه الأولى للبحث عن صديقه «نايف البدوى» من بلـدة «يـارين» التـى تبعـد عن قريتـه، عبـترون، سـبعة كيلـو مـترات، وكيلـو مـترين ونصـف فقط عن الحدود الإسرائيلية.

كـان نـايف البـدوى زميـل دراسـته الابتدائيـة ورفيـق صبـاه .. عمل بالتجارة وتزوج من امرأتين أنجبتـا لـه ثمانيـة أولاد أحدهـم معاق وأنفق على علاجه أموالاً طائلة بلا فائدة.

ومن ناحية أخرى كان نايف «محبًا» للنساء واشتهر بمغامراته معهن ومطاردته للحسناوات أينما كن .. فتدهـورت لذلـك تجارتـه شيئاً فشيئاً إلى أن أعلن إفلاسه واضطر لأن يبيع متجره.

أمـا وحالـه تبـدّل هكـذا، فقـد هـدّه العـوز والديـن .. ولمـا زاره ضاهر كانت أحواله السيئة مرسومة علـى وجهـه، وظـاهره جليـة

فى كل أركان بيته.. فأشفق عليه صديقه ونقده مائة ليرة طالعها نايف ببشاشة وفرح، ورجاه أن يبحث له عن عمل ينفق منه على فريق كرة القدم الذى ببيته.

عاد أحمد ضاهر إلى منزله وانكب على تسجيل ملاحظاته خلال تحركاته فى أقصى الجنوب، وبينما تنطلق به السيارة الأجرة إلى بيروت لمقابلة نورما عساف، كان صوت المذياع ينطلق مجلجلاً بالنشيد:

فلتسمع كل الدنيا.. فلتسمع
سنجوع ونعرى .. قطعاً نتقطع
ونسف ترابك يا أرضنا .. تتوجع
ونموت .. نموت ولكن .. لن نركع
لن يخضع منا حتى طفل يرضع..!!

طلقات الأشعار

بدت نورما فى مقهى فوار أنطلياس ناعمة رقيقة حالمة.. إلا أن منظرها البشع ذا الفحيح المرعب بشقة أثينا لم يكن ليغيب للحظة عن مخيلة ضاهر.. فما أن رآها حتى سرت ببدنه رعشة خوف، ومشى خلفها إلى سيارتها مضطربا، فدارت بها دورتين كاملتين حول المكان، ثم انطلقت مسرعة إلى الشمال.

فعبرت نهر الكلب بطريق طرابلس - بيروت، وانحرفت يميناً باتجاه البساتين الكثيفة والأحراش.. وأمام كوخ قديم توقفت، ودفعت إليه بالمفتاح فعالج الباب وسبقها إلى الداخل بيده عود ثقاب مشتعل، فبدا المكان الموحش المجهول مع وجود نورما كبيت الرعب.

أضاءت مصباحها اليدوى وعلى مقعد متهالك جلست لتقرأ ما جاءها به من تقارير ملأت تسع صفحات.. وما أن أنتهت حتى قذفت بها إلى وجهه غاضبة، فانكمش مذعورا متوقعاً لكل شئ، إذ تحول جمالها إلى توحش مخيف، وانطلقت نظراتها كالسهام الحارقة مع سيل من السباب لجهله بأمور «العمل» التى تدرب عليها، وافتقاده لطرق الرصد والتحركات وإدارة الحوار.

رغم ذلك أعطته خمسمائة ليرة.. وحددت له مهاما بعينها عليه القيام بها دون غيرها، وطلبت منه أن يزور صديقه نايف البدوى ويوطد علاقته به نظرا لموقع قريته الحدودية الهام.

استقر كمال المحمودى ببيروت بعدما عمل بإحدى الصحف، كانت أشعاره الوطنية تجد مساحة كبيرة على صفحاتها .. وبدأ النحس الذى لازمه لحقبة طويلة من حياته ينحسر.. لقد كان شديد الحساسية عندما يتكلم أو يكتب عن القضية الفلسطينية واللاجئين والمقاومة.. فقربته كتاباته من رموز الثورة وكبار رجالها .. وغدت زياراته لمعسكرات التدريب ومشاهداته عن قرب للشباب الفدائى.. بمثابة طلقات رصاص يطلقها قلمه.. فانكب يحارب بالكلمة لا يستقر له بال.

زاره أحمد ضاهر بمسكنه ففرح به، وسهرا طويلاً يستعرضان معا حياتهما فى الماضى، وأحلامهما التى وئدت قهرا ، ولم تكن الزيارة بريئة هذه المرة، فالغرض منها معروف.. والمكاسب المادية التى سينالها من جراء معلومات المحمودى عن المقاومة أغلى عنده من الصداقة.

الاختناق

كان قد تعلم جيدا كيف يستخرج الأسرار من عقل محدثه عندما يستثيره ويجادله.. أو يجله ويقدره.. لكن الحال هنا مختلف، فصديقه ورفيق أحلامه لم يكن ليبخل عليه بأدق المعلومات التى يعرفها عن الثوار والقيادات الفلسطينية.. بما فيها الأسرار المتداولة فى دهاليز مراكز القيادة الحيوية..

تلك المعلومات كانت سببا رئيسيا فى حصوله على آلاف الليرات من خزينة الموساد، فأغرق صديقه بالهدايا دون أن يدرى بأن حديثه العادى مع رفيق عمره.. ينقل أولاً بأول إلى إسرائيل، ويخضع لتحليلات خبراء الموساد واهتمامهم البالغ.

ولنرجع إلى قرية يارين فى الجنوب، حيث يعيش نايف البدوى أسوأ ظروف مادية تعصف به، استغلها ضاهر جيدا فى التأثير عليه، وتطمينه بإمكان حصوله على فرصة عمل ممتازة بإحدى الوكالات العالمية دون أن يبرح قريته.

تملكت نايف الدهشة من العرض المغرى عن ظروف العمل، فأخبره بأن وكالة أنباء عالمية فى نيقوسنا، تدفع بسخاء لمن

يوافونها بأخبار صحيحة ووافية عن حركة المقاومة الفلسطينية فى الجنوب..

سر نايف المتعسر بهذا الأمر وأبدى بحماس شديد رغبته فى العمل .. فوعده صديقه بأن يسعى لدى مقرهم فى بيروت لقبوله.

مرت بنايف الايام الطويلة المضنية، وكلما عصرته الحاجة ونهشه العوز، أسرع لصاحبه يرجوه بألا يهمل أمره.. فيجيبه ضاهر بأنه تقدم بالفعل بطلب فى شأنه ولم يقرروا بعد.

وكان يقصد من التأخير والمماطلة حرق أعصابه.. وإشعاره بأهمية التعاون مع الوكالة للخروج من أزمته..

إنه أسلوب آخر فى عالم المخابرات الجاسوسية ، يعرف باسم «الاختناق Choked» ، ويعتمد على محاصرة من يراد الإيقاع بهم فى شرك الخيانة بعد دراسة شتى ظروفهم الحياتية، ومدى معاناتهم النفسية، وتضييق الخناق عليهم مع اعطائهم ثمة أمل فى مخرج ما لمشاكلهم.. دون وعد قاطع.

هكذا يظل هؤلاء يحلمون بانفراجة قريبة تبدل حياتهم.. إلى أن يقعوا يأسًا أو يتغابوا مع علمهم بالجرم.

كان ضاهر قد تسممت نفسه بالخيانة .. فلم يعد هو ذلك الإنسان البسيط الحالم العاشق للطرب .. إذ أجاد مهمته بالتدريج فى عالم التجسس .. ومضى بخطئ ثابتة فى بيع وطنه وعروبته بثمن بخس.

إن ظروف الخائن النفسية وصراعاته الداخلية المعقدة .. تدفعه دائماً لأن يمقت الأسوياء من حوله .. ويحتقر ذاته كلما جلس إليهم أو جالوا بباله .. ولذلك يسعى فى الغالب للانتقام منهم فى دخيلته، وقد يتحول هذا المقت إلى محاولة جرهم معه لمستنقع الخيانة.

ويسجل للتاريخ الجاسوسية الإسرائيلية فى الوطن العربى، نماذج متباينة لهؤلاء الأشخاص المرضى بالخيانة، إنها حالات قليلة جدا وشاذة[1] .. تلك التى أظهر فيها الخائن بغضه لأقرب الأقربين إليه فلطخهم بعار الخيانة مثله.

فعندما ورط إبراهيم شاهين زوجته انشراح وأولاده الثلاثة..

---

(١) توجد نماذج عديدة، أهمها قصة سمير باسيلى الذى جند والده، وهبة سليم عامر التى جندت المقدم فاروق الفقى، وكان يحبها بجنون. هناك أيضا قصة السيد محمود الذى استغل حاجة أخيه إلى المال للعمل لصالح الموساد . وغيرهم توجد حالات مختلفة فى العراق ولبنان والأرض المحتلة ومصر ويمكن الاستعانة بتفاصيل أكثر عن هؤلاء من خلال كتابنا «جواسيس الموساد العرب»..قصة سقوط أشهر ٢٥ جاسوسا.. !!

ودفعهم بحماس للتجسس لصالح الموساد.. لم يكن دافعه الانتقام منهم.

كذلك هبة سليم.. التى جرجرت خطيبها المقدم فاروق الفقى للخيانة العظمى.. بالرغم من علمها أنه يحبها لدرجة الجنون .. لم يكن دافعها الانتقام منه.

أما جاسوس الإسكندرية .. السيد محمود.. الذى احتال على شقيقه أمين المجند بالقوات المسلحة .. وأغرقه فى أموال الموساد.. فهو أيضاً لم يكن يقصد الانتقام منه.

لكن سمير وليم باسيلى.. كان يختلف كثيرا عن كل هؤلاء وغيرهم.. إذ دفع بوالده ـ عن عمد ـ إلى وكر الجاسوسية.. للانتقام منه .. وتشفيا فيه.. وورطه فى عمليات تجسس لحساب إسرائيل.. انتهت بمصير مهلك لكليهما.

كيف حدث ذلك..؟

علماء النفس تحيروا.. ووقفوا عاجزين أمام أحداث القصة المؤسفة.. وفشلوا تماما فى تحليل شخصية الابن المجرم.. كما فشلوا من قبل مع إبراهيم وانشراح[1] .. اللذين قال عنهما أستاذ

---

(١) قصة انشراح موسى الحقيقة من واقع ملفها الأمنى، جاءت بكتابنا: «الملازم أول دينا عمر.. جندها زوجها فجندت أولادها الثلاثة» ، عن دار أطلس بالقاهرة.

علم النفس النمساوى « فردريش يوجان »:

ـ «أعتقد أنهما مصابان بمرض «الجنون ذى الوجهين Folie adouble forme ». وهو مجموعة أعراض إكلينيكية قوامها خفض نغمة المزاج الوقتى Lowering of mood – tone وصعوبة التفكير الذى يغلفه القلق وتسلط الأفكار .. وتهيج بعض الأحزان والهموم».!!

ولأن حالة سمير باسيلى حالة فريدة من نوعها.. خضعت للعديد من التحليلات النفسية.. وضعته فى النهاية فى مصاب المرضى .. وصفه «يوجان» على أنه «الدونى السيكوباتى التكوين «Constitutional Psychopathic Inferior» .. والسيكوباتى هو دائما فى حالة توتر.. لا يستفيد إلا قليلاً جدا بالخبرة أو العقاب.. ولا يدين بأى ولاء حقيقى لأى مبدأ أو جماعة.

فلنقرأ معا بإيجاز قصة سقوط سمير باسيلى.. وكيف فكر فى توريط والده معه.. ولا نتعجب لتحورات النفس البشرية وتقلباتها .. فتلك قضية شائكة معقدة.. ذلك لأن النفس البشرية سر لا يعلمه إلا خالقها سبحانه وتعالى.

على مقهى برنسيس

حصل سمير على الثانوية العامة بصعوبة شديدة عام ١٩٦٠ وتوقف عن إكمال دراسته بأحد المعاهد . فالأب .. كان بخيلا .. شرس الطباع فى معاملته لأبنائه.. لا يترك قط مساحة ضئيلة من التفاهم تقربهم منه، وكره سمير فى أبيه سلوكه فأدمن الخروج من المنزل والسهر مع أصحابه.. ولم تنطفئ برغم ذلك حرائق الصدام مع والده.

لذلك فكر فى السفر إلى ألمانيا بعدما ضاقت به الحياة .. وعندما عرض الأمر على أبيه لم يسلم من تهكمه وسخريته اللاذعة.. وذكره بالفشل الذى أصبح سمة من سمات شخصيته.. رافضاً بشدة إمداده بنفقات السفر رغم توسط بعض أفراد الأسرة.

استدان سمير من أصدقائه ووجد نفسه فجأة على مقعده بالطائرة فى طريقه إلى ألمانيا، يتنفس الصعداء ويلعن الفقر.. ويسب والده الذى حطم كل الآمال لديه فأشعره باحتقاره لنفسه.. ودونيته.. وبث بأعماقه شعورا مخجلاً بالضعف والحقارة.

لقد كان يبخل عليه بأبسط بوادر الحنان والأبوة.. وحرمه الحب. فعاش معه مزويا بلا هدف أو كيان. وأخذ سمير يجتر ذكرياته المرة مع والده البخيل.. الذى دأب على تسميم بدنه ليل نهار بالسباب والحط من شأنه .. وتحريض أمه على طرده من المنزل كلما عاد متأخرا وحرمانه من العشاء والهدوء.. مما أثار شجن الشاب الممزق .. وكثيرا ما كان يسأل نفسه أهو ابن شرعى لهذا الرجل أم لقيط وجدوه على الرصيف.

تحركت به الطائرة على الممر.. وقبل أن ترتفع مقدمتها عن أرض المطار .. أخرج منديله وبصق على معاناته وآلامه وحظه، وكأنه يبصق على كل ما يذكره بأيامه الكئيبة.

وظل يسرح طوال رحلته فى خيال جميل أفاق منه على صراخ عجلات الطائرة وهى تنزلق على أرض مطار ميونيخ. وسريعا حصل على وظيفة معقولة بشركة سيمونز الشهيرة فعاش حياة رائعة لم يكن خياله يقوى على وصفها أو يتخيلها.

مرت الأسابيع والشهور وفتانا فى عمله لا يبغى سوى جمع المال.. وبدأ رويدا رويدا فى استطلاع الحياة الجديدة.. والتحرر الصاخب الذى يغشى المجتمع من حوله.. وساعده المال الذى ادخره على المغامره.. فانغمس فى عالم آخر بعدما خر صريعا

أمام إغراء المدينة الساحرة.. وفى بحر اللذات الذى لا ينتهى.. أفرغ بين ضفتيه حياته السابقة ، لا يكاد يفيق من نشوته وسكرته إلا ويعود أكثر شراهة وطلباً.

وفى مقهى برنسيس تعرف إلى الفتاة الحسناء «جين» التى ارتبط بها ارتباطاً وثيقاً، فقادته بعد احداث طويلة إلى طريق الموساد، يسعى باحثاً عن المال السهل والإثراء السريع.

وبعد أن غرق لأذنيه فى مهامه التجسسية واستسهل المال الحرام.. تركته جين لتبحث عن غيره .. وانشغل هو باصطياد المصريين والتقاط الأخبار.. وقبع فى مطار ميونخ ينتظر الطائرات القادمة من مصر عارضاً خدماته على الوافدين للمرة الأولى.. الذين يسعدون بوجود مصرى شهم يرافقهم إلى حيث جاءوا.. ويقوم بتسهيل أعمالهم فى المدينة.

أشهر قليلة .. واستطاع أن يقيم شبكة واسعة من العلاقات .. خاصة مع بعض موظفى مصر للطيران وبعض المضيفين والمضيفات.. ويعود إلى مسكنه فى المساء ليكتب تقريره اليومى المفصل.. الذى يتسلمه منه مندوب من الموساد كل صباح. ويقبض مئات الماركات مكافأة له.

الطماع والمغامر

وبعد أن استقرت أموره المالية كثيرا عرف أبوه طريقه.. فزاره في ميونخ عدة مرات زاعماً أن المشاكل الاقتصادية تضخمت.. وأنه يطلب مساعدتته في الإنفاق على أسرته.

كان سمير يتلذذ كثيرا بتوسلات والده. بل يرسل في طلبه خصيصا ليستمع إلى كلمات الرجاء تتردد على لسانه.. وليرى نظرات التودد تملأ وجهه. وتضخم الإحساس بالشماتة عند الابن تجاه أبيه حتى وصل إلى درجة الانتقام.. وكان الانتقام بشعا ويفوق كثيرًا حجم الترسبات التي قبعت برأس الابن تجاه أبيه.

لقد دبر سمير كميناً محكماً لأبيه أوقعه في شراكه عندما صحبه إلى مكتب «هانز مولار» ضابط المخابرات الإسرائيلية في ميونخ.. والذي يبدو في ظاهرة مكتبا للمقاولات.

ولأن وليم فريد باسيلي يعشق النقود.. أوضح له هانز أنه على استعداد لبدء علاقة عمل بينهما وتأسيس شركة تجارية كبرى في القاهرة تدر عليهما ربحاً وفيرا.. قائلاً إنه بحاجة إلى معلومات اقتصادية عن السوق المصرية.. يستطيع من خلالها ان

يحدد خطوطاً عريضة لنشاط الشركة. ولبى وليم الدعوة وجلس عدة ساعات بخط يده يكتب تقريرا مفصلاً عن احتياجات السوق، وأحوال الاقتصاد فى مصر.

دهش هانز لدقة المعلومات التى سردها وليم ومنحه فورا مائة مارك، ووعده بمبلغ أكبر مقابل كل تقرير يرسله من القاهرة.

نشط الجاسوس الجديد فى كتابة التقارير وإرسالها إلى ألمانيا. وفى الزيارة التالية لميونخ فوجئ وليم بثورة هانز بسبب سطحية تقاريره المرسلة إليه. وقال له إن المكتب الرئيسى على استعداد لدفع مبالغ كبيرة للتقارير المهمة، وأنه على استعداد لتدريبه على كيفية جمع المعلومات وكتابتها.

وعندما سأله وليم عن المكتب الرئيسى أجابه بأنه فى تل أبيب، وهو مكتب مختص بالشئون الاقتصادية فى دول العالم الثالث.فانكمش فى مقعده بعدما أدرك حقيقة موقفه وتورطه بكتابة تقارير لإسرائيل.

طمأنه هانز بأن علاقتهما لن تكشفها المخابرات المصرية ، لأن هذه التقارير ليست مادة سرية فهى موجودة فى الصحف القاهرية.

الأدلة الدافـــعة

شيئاً فشيئاً .. تطورت العلاقة بين هانز ووليم إلى علاقـة بـين ضـابط مخـابرات وجاسـوس خــائن، تحـددت بـدورات تـدريبيـة خاضـها الأب علـى يـد ضبـاط فنيـين، وانتفخـت جيوبـه بـآلاف الماركات بعدمـا كـثرت تقـاريره التـى كـان يجيـد كتابتـها بعـد تحليلها.. وتعمـده مصادقـة ضبـاط القـوات المسـلحة فـى مصـر، المسرحين منهم من المحيطين به.

وفـى كـل زيـارة لميونـخ كـان هـانز يحـذره مـن قـراءة قضايـا التجسس فى الصحـف المصريـة حتـى لا يرتبـك ويقـع فـى قبضـة المخـابرات المصريـة التـى لا ترحـم الخونـة. وطمانـه علـى أسـلوب عملهم الـذى لا تستطيع المخـابرات العربيـة كشـفه. وحتـى وإن حـدث.. فـهم سـيتولون رعايـة أبنائـه والإنفـاق عليـهم مـن لعـده «وقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشـك أن إسـرائيل تتصـل مـن الخونـة بعد سقوطهم وأنها تأخذ فقط وتمنح قبل السقوط».

أما الأبن سمـير.. فقـد اتسـعت دائـرة نشـاطه فـى التعـرف علـى المصريـين الوافديـن وتصيـد الاخبـار منـهم مـن خـلال الدردشـة العادية.. خاصة هؤلاء الذين فشلوا فى الحصول على عمل.. وشرع

بالفعل فى تجنيد ثلاثة منهم.. استطاعوا الرجوع إلى مصر وأخبروا جهاز المخابرات المصرية بتصرفات سمير.. ودوره فى محاولات الإيقاع بهم لصالح المخابرات الإسرائيلية.. بواسطة فتيات جميلات يجدن استعمال لغة الجسد.

لقد جاءت البلاغات الثلاثة فى فترة قصيرة ومن أشخاص لا يعرفون بعضهم. وكانت خطة المخابرات المصرية لاصطياد سمير وأبيه محسوبة بدقة بالغة.. وإحكام . فما هى إلا أيام حتى جاء الابن إلى القاهرة.. بصحبته شاب ألمانى وصديقته أرادا التعرف على الآثار الفرعونية.. فصحبهما سمير إلى الأقصر حيث نزلوا بفندق سافوى الشهير على النيل.. ثم مكثوا يومين فى أسوان وعادوا إلى القاهرة.

كان سمير طوال رحلته مع صديقيه يقوم باستعمال كاميرا حديثه ذات عدسة زووم فى تصوير المصانع والمنشآت العسكرية طوال رحلة الذهاب والعودة.. وفى محطة باب الحديد حيث الزحام وامتزاج البشر من جميع الجنسيات.. وقف سمير أمام كشك الصحف واشترى عدة جرائد. وبعدما هموا بالانصراف.. استوقفه شاب أنيق يرتدى نظارة سوداء برفقته أربعة آخرين وطلب منه أن يسير بجانبه فى هدوء.

ارتسمت على وجه سمير علامات الرعب.. وحاول أن يغلفها ببعض علامات الدهشة والاستفهام لكنه كان بالفعل يرتجف.

ولم يستغرق الأمر كثيرا. فالأدلة والاعتراف صريح. وكان الحكم فى مايو ١٩٧١ عادلاً لكليهما. الإعدام للابن و ١٥ عاما أشغال شاقة للأب .. وعار أبدى للأسرة حتى الجيل المائة.. وكانت النهاية الطبيعية لكل خائن باع النفس والوطن.

دراسة الحالة

أما السيد محمود الذى جند شقيقه الأصغر «أمين» للتجسس ضد مصر، فلم تكن بصدره أية ضغائن تجاه أخيه، لكن ما أقدم عليه يثبت أن الدم العائلى أمام الطمع والمصالح، قد يصبح ماءً أحيانا .. غير نظيف.!!

فى الثانى عشر من مارس ١٩٢٩ ولد «السيد محمد محمود محمد» بالإسكندرية لأسرة ثرية يعمل معظم أفرادها فى «البحر». وانصرف السيد عن دراسته مبكرا ولم يحصل على الشهادة الإعدادية، فكان شغفه بالبحر أعظم من فصل المدرسة لديه.

وفى الثانية والعشرين من عمره.. أحب ابنة صديق للأسرة

يعمل فى الميناء أيضاً. وتزوج من «إخلاص» وعاشت معه فى شقة رائعة بمنطقة سيدى جابر.

ومرت به الأعوام وهو يكبر بين أصحاب المهنة وتتسع علاقاته واتصالاته. وينجح فى عمله إلى مدى بعيد. فاستثمر هذا النجاح وامتلك ٤٠ ٪ من الباخرة التجارية اللبنانية «م. باهى» . وترك العمل على الشاطئ لينتقل إلى عمق البحر، إذ عمل مساعدا للقبطان.. وبدأ يبتعد كثيرا عن الإسكندرية فى رحلاته إلى موانئ العالم.. فازداد إلماما بعلوم البحر والطقس.. وامتلأت جيوبه بالمال فاستثمره هذه المرة فى الزواج من فتاة صغيرة رائعة الجمال .. كان قد التقى بها فى المعمورة ورآها «غادة» حسناء تمرح على الشاطئ كأنها عروس البحر.

لقد كلفه الزواج منها أموالا طائلة أرهقت ميزاته. وتورط بسببها حتى اضطربت أحواله المادية أكثر خاصة بعدما احتاجت الباخرة لـ «عمرة» كاملة، كان عليه أن يدفع ٤٠ ٪ من تكلفتها، بسبب مشاكل بينه وبين شركة التأمين.

وأمام أزمته الطاحنة.. اضطر السيد محمود إلى «رهن» نسبة من نصيبه فى الباخرة، وكان منذ تلك الفترة قد دخل بكل قوة إلى دائرة الإفلاس التى تضيق حوله وتعتصره.

كان السيد محمود قد قارب الأربعين من عمره، وسيم المحيا ، أنيق المظهر، خبير بالأمور البحرية .. وأكثر خبرة بشئون النساء وأنواع الخمور .. وكان لا ييأس إذا ما صدته امرأة أو تجاهلته فتاة جميلة. فهو يملك من وسائل اجتذابها ما يحير العقول، يساعده على ذلك لسان زلف رقيق، وعينان بريقهما جاذب يسهل له مسعاه، وكانت علاقاته النسائية متعددة برغم زواجه من اثنتين.. ولا يكف عن إثبات ذاته أمام الفتيات الصغيرات اللاتى ينجذبن سريعًا لطلاوة حديثه وجرأته. ولقدرته الفائقة على احتوائهن.

كان أيضاً يستغل المال فى شراء النساء بالهدايا التى يجلبها من الخارج.. فى وقت كانت الأسواق المحلية تفتقر إلى البضائع المستوردة التى تلقى إقبالاً شديدا خاصة حوائج النساء.

كل ذلك ساعد بطريقة أو بأخرى على تعدد علاقاته النسائية ومفاخرته بذلك أمام أصدقائه الذين طالما حسدوه لقدرته على اجتذاب الجنس اللطيف.

وأثناء توقف الباخرة للإصلاح بميناء نابولى الإيطالى .. التقى هناك بصديق قديم من يهود الإسكندرية اسمه فيتورا.. قال له إنه يعمل ضابطاً إدارياً فى شركة السفن التجارية الإيطالية.

.. تكشف لفيتورا أمر صاحبه ومدى معاناته بسبب ازمته المادية الحرجة التى تنغص عليه حياته. خاصة وهو صاحب بيتين وزوجتين .. وصارحه السيد بمدى يأسه من صلاح حاله والسفينة قد فتحت فاها ولا تريد إغلاقه، وأنه أخيرا باع نصيبه بالديون التى تراكمت عليه وتضخمت. وطلب من صديقه اليهودى راجيًا إيجاد أى عمل له فى أى بقعة من العالم.

وبعد تفكير .. أخبره فيتورا أنه سيعمل على تقديمه لصديق إنجليزى يعمل صحفيا فى منظمة «حلف شمال الأطلسى» ويقيم فى أمستردام بهولندا.

وعندما سأله السيد عن نوع العمل الذى قد يقوم به مع صديقه الصحفى، أخبره فيتورا أن مجال الصحافة ليس له حدود، لأنه يتدخل فى شتى المجالات وليس قاصرا على معلومات بعينها.

ولما أكد له أن الصحافة الأجنبية تدفع كثيرا .. تهلل السيد محمود فرحا .. طالبا بإلحاح من فيتورا أن يسعى عند صديقه الإنجليزى. وأنه مستعد للتعامل معه كمراسل صحفى بالشكل الذى يرضاه.

هكذا، وبعد أحداث كثيرة تداخلت فيها عوامل مختلفة، سقط السيد محمود فى براثن الجاسوسية عميلاً للموساد، لا يشغله سوى الحصول على المال الوفير بعد شدة وضيق.

المصير الأسود

ومع جرعة التدريب العالية التى حصل عليها.. عاد السيد إلى مصر لاستئناف نشاطه بشهية مفتوحة ومحفظته منتفخة بالأموال.. وعرف اكثر واكثر قيمة كل معلومة يجمعها، خاصة المعلومات العسكرية.

ولما كانت مصادر معلوماته العسكرية معدومة..فكر فى الاستعانة بـ شقيقه الأصغر «أمين» المجند بالقوات المسلحة. فاستغل حاجته إلى النقود للإنفاق على نفسه وعلى حبيبته التى يستعد للزواج منها. ولعب على هذا الوتر، وكلما أمد شقيقه بالنقود كلما أخضعه له.

لم يكن الأمر صعبا على أمين هو الآخر. فببعض معلومات عسكرية لا قيمة لها عنده.. يمنحه السيد مقابلاً كبيرا لها حتى أسقطه فى براثنه.

كانت حرب أكتوبر قد انتهت. وكثف أمين من نشاطه فى تصوير المستندات العسكرية والخرائط قبل خروجه من الجيش إلى الحياة المدنية، وحرمانه بالتالى من المبالغ الخيالية التى يحصل عليها من شقيقه. وهذا ما أوقع بالخائن وبشقيقه فى قبضة المخابرات المصرية..

فقد حامت شكوك حوله مصادر المال الذى ينفقه أمين بشراهة. ولفت انتباه أحد زملائه بالجيش اهتمامه بالحجرة التى تحوى تصميمات هندسية سرية لمرات الطائرات فى المطارات الحربية.. وقواعد يجرى إنشائها فى عدة مواقع سرية.. فأبلغ قيادته بشكوكه.

هكذا فاجأ فريق من رجال المخابرات العسكرية شقة أمين.. وتم العثور على وثائق عسكرية هامة.. تحوى خرائط ولوحات لمواقع عسكرية..

اعترف أمين فى الحال أنه جلبها لشقيقه السيد مقابل مائة جنيه.. وبمداهمة شقة السيد وجدوه يخبئ وثائقا أخرى بجيب سحرى بقاع حقيبته ..

فانهار لا يصدق .. وأخذ يلطم خديه ويقول مذهولا :

- «الطمع والنسوان ضيعونى.. وأنا أستاهل».

وضبطت لديه كل أدوات التجسس .. الأحبار السرية .. جهاز الراديو .. جدول الشيفرة .. الكاميرا.. إلخ.

واستمر التحقيق معهما ابتداء من ٢٨ مارس ١٩٧٤ حتى ديسمبر ١٩٧٤ حيث اعترفا صراحة بتهمة التجسس لصالح المخابرات الإسرائيلية..

وعندما نطق القاضى بالحكم، دوت صرخات عالية فى القاعة من ثلاثة نساء، كن إخلاص وغادة وتوحة[1].

وكان منظرا عجيبا فى قفص المتهمين بالمحكمة، إذ أمسك أمين بتلابيب شقيقه الأكبر وغرس فيه أظافره وأنيابه وهو يصرخ:

ـ «إنت السبب يا مجرم، أنا ح أقتلك.. ح أقتلك .. ضيعت عمرى أونطة يا ابن الـ ..».

وباعدوا بينهما واقتيد كل منهما فى عربة مصفحة حيث ينتظرهما مصير أسود .. لا ضوء فيه ولا شعاع ..

فالطريق غامض تحفه المخاطر والأهوال والمستقبل ضائع..!!

ولو عدنا لأحمد ضاهر .. لتبين لنا مدى كراهيته لصديقيه كمال المحمودى ونايف البدوى ـ وهما أقرب أصدقائه ـ وحرصه فى قرارة نفسه،وبأى ثمن، على دمجهما فى شبكته.. فتتساوى بذلك الرؤوس.

فالأول يمثل لديه رمز الوطنية الصادقة، والثانى يمثل الصبر وتحدى الظروف والقوة.

ولأنه إنسان ضعيف .. مريض .. محتقر من ذاته، كبر لديه

---

(١) هذه ليست الأسماء الحقيقية بالطبع.. فلا ذنب لهن حتى نذكر أسماؤهن الصحيحة هنا..!!

الاعتقاد بأن مسألة إغواء أى مخلوق عملية سهلة إذا ما درس ظروفه النفسية بعناية.

من هنا، نسج خيوط شبكته حول صديقيه، مبتدئا بأضعفهما مقاومة ـ نايف البدوى ـ مستخدما معه أسلوب الاختناق Choked تمهيدا لشل تفكيره وهرس مقاومته!!

التسليم والتسلم

عام ١٩٦٩ وفى النصف الثانى منه بالأخص، اشتدت ضربات المقاومة الفلسطينية ضد إسرائيل .. ووجد المستوطنون اليهود فى المستعمرات الشمالية .. أنهم هدفا لضربات ناجحة بدلت أمنهم إلى رعب دائم ..

وحدث أن تسلل أربعة من الفدائيين بأسلحتهم وذخيرتهم .. وتمكنوا من الوصول لمستعمرة «زرعيت» فى الجليل الفلسطينى المحتل .. على بعد عشرين كيلو مترا من الشاطئ .. وقاموا بعملية فدائية خارقة للغاية قتل فيها أحد عشر صهيونيا، وأصيب العشرات منهم، بينما اختفى الأبطال بعيدا عن المنطقة التى حوصرت.. مجتازين جميع نقاط التفتيش الصارمة فى كل مكان.

هذا الحادث هلل له الفلسطينيون واحتفلوا بأبطاله .. بينما كان العكس فى إسرائيل، إذ أقيل عدد من الضباط وأخضع آخرون للتحقيق والمجازاة .. واستدعى الأمر حدوث تغييرات فورية فى الخطط الأمنية حول المستعمرات .. والنظر فى تنشيط وفاعلية شبكات الموساد فى لبنان.

من أجل ذلك أوصى تقرير خطير لخبراء الموساد .. بضرورة العمل على تجنيد أكبر عدد ممكن من سكان الجنوب اللبنانى .. ليكونوا عيوناً لإسرائيل ترصد تحركات المقاومة فى مهدها أولاً بأول .. وأيضاً تخصيص ميزانية معقولة للنشاط الاستخبارى فى لبنان ودعمه بأكفأ الرجال والتقنيات الحديثة.

أحد الذين طالتهم يد التغيير، نورما عساف، حيث جرى سحبها إلى إسرائيل واستبدلت بضابط ماكر خبير بشئون لبنان وبشبكاتهم بها .. فكان عليها أن تجرى مقابلات سريعة بعملائها يما يعرف باسم «التسليم والتسلم» فى عالم المخابرات.

التقت عميلة الموساد بأحمد ضاهر وأنبأته بسفرها إلى خارج لبنان لإحدى المهام.. وحتى تعود فإن زميلها «أنطوان شهدا» سيتولى أمره.

تعهد به أنطوان منذ تلك اللحظة .. وبعد مقابلات مطولة

بينهما طلب منه بتجنيد نايف البدوى .. بعدما استعرضا معًا كافة جوانب حياته وظروفه ..

أما كمال المحمودى فقد رأى أنطوان أن ينتظر عليه قليلاً حتى يدرسه بشكل أفضل .. وتحين الفرصة الملائمة لضمه.

هو.. والشيطان

كالحية الرقطاء مبتسما تقابل ضاهر ونايف فى يارين .. مهنئا إياه بموافقة وكالة الأنباء على عمله معها، حيث اختص وحده بموافاتها بأخبار المقاومة وأسرار تحركاتها .. وقد تقرر له راتبا شهريا مقداره ثمانمائة ليرة«كان الرقم مغريا جدًا وقتذاك».

ولما كانت فرحة نايف غامرة، شرع فى تلقينه مهام عمله الذى يجب أن يكون سريًا للغاية .. فالوكالة كما أخبره تسعى دائماً إلى الانفراد بالأخبار .. وتدفع مكافآت تشجيعية كبيرة لمن يوافيها بتحركات رجال المقاومة قبل قيامهم بالعمليات وبعدها، لكى تتمكن من دحض أكاذيب إسرائيل ونفيها المستمر لأية عمليات فدائية ضدها.

دهش نايف لما يقوله صاحبه .. وعلق على ذلك بقوله إنه سيقوم بعمل الجواسيس إذن فالوصول إلى رجال المقاومة

ومعروفة اخبارهم وتحركاتهم وخططهم أمور من المستحيل معرفتها حتى لأجهزة الاستخبارات الإسرائيلية، معربا عن اقتناعه بأن الدولة الصهيونية تنفى بشكل قاطع الكثير من العمليات العسكرية الناجحة ضدها لتصيب الخصم بالإحباط.

وتساءل نايف فى النهاية:

ـ كيف إذن سأجئ بأخبار رجال المقاومة حتى قبل قيامهم بالعمليات وعبورهم لحدود إسرائيل..؟

فما كان من صديقه إلا أن راوغه، متعللاً بأن المال يصنع كل شئ .. وأنه بالعمل مع الوكالة سيخرج من أزمته المالية بسرعة الصاروخ .. فلكل خبر مهم ثمن .. ولكل تكاسل عقاب بالحرمان من المكافآت التى ستنهال عليه إذا أخلص للعمل!!

قال ذلك بينما كان يناوله ثمانمائة ليرة كمقدم «أتعاب» فى صورة مرتب شهر مقدما. فانفرجت أسارير نايف المحروم من الليرات وقال:

ـ «نعم .. إن المال يصنع كل شئ، وأنا بحاجة إلى المال ولو بعت نفسى إلى الشيطان».

هكذا سقط نايف البدوى ..سقط دون حتى أن يفكر بعمق أو يتساءل عن حقيقة الوكالة التى كان صديقه على اتصال بها.

نعم.. سقط كالمنوم، وتفرغ لعمله السرى فى البحث عن خبايا المقاومة والمنظمات الفدائية .. التى يجوب أفرادها القرية الحدودية ليل نهار .. وانكب يكتب تقارير يومية تفصيلية عن مشاهداته ومسامراته ويسلمها أولاً بأول لصديقه ..

ولما كانت معلوماته تمثل لدى أنطوان درجة عالية من الخطورة.. بادر بضرورة تدريب أحمد ضاهر على استعمال اللاسلكى فى الإرسال والاستقبال.

ذلك لأن المعلومات الخطيرة عن الفدائيين، التى تجيئه من نايف، يجب بثها إلى الموساد قبل اجتيازهم للحدود للقيام بعمليات انتقامية فى الداخل..

كلنا جواسيس

لم يكن الأمر شاقاً عليه كثيرا .. فلسابق خدمته فى الجيش اللبنانى وحصوله على دورات فى «الإشارة» ، كانت درجة استيعابه لمنظومة الجهاز وتقنياته سريعة .. لكنه عانى بعض الشىء فى فهم ألغاز الشفرة وحلها استبدالها ..

وبعد خمسة عشر يومًا فقط كان ضاهر يجيد الأمر برمته .. وعندما اطمأن أنطوان شهدا إلى مهارته أطلقه بالجهاز إلى الجنوب.. حيث بإمكانه «غربلة» التقارير واختزالها وبثها رأسا

إلى تل أبيب.

ولأن آلاف الليرات من أموال الموساد اتخمت جيوبه، فقد فكر أحمد ضاهر فى زيادتها بتجنيد صديقه كمال المحمودى.. الشاعر الوطنى الذى تغلغل عن آخره داخل قلب القيادة الفلسطينية وصفوف المقاومة ، فتقابل وصديقه كمال ودعاه إلى سهرة بمربع الفونتريكال فى جونيه.

وفى «المربع» شربا وأكلا ورقصا، فمالت الرءوس وتكاسلت الأهداب .. وارتعشت صور الأجساد العارية لنساء حسناوات أجدن فنون الخلاعة والضحكات الماجنة ..

ولما حانت منه التفاتة سريعة للفتاة التى جلست ناحية البار، إلا واصطدم نظره بأرليت، ملكة الإذابة التى رمقته بنظرة حادة سريعة أربكته وأسقطت الكأس من يده.

أحس لحظتئذ بالخوف الشديد، فقد خرج عن المألوف فى عالم الجاسوسية، متناسياً الحس الأمنى الذى تدرب عليه من قبل.. وعلى إثر هذا .. قرر الانسحاب من الفونتريكال على الفور وهو يردد حانقاً فى نفسه:

«كلنا جواسيس».

الحية الهاربة

كانت الطرقات المتتابعة فى ذلك الوقت المبكر تثير القلق والحيرة والتساؤل .. وما أن فتح كمال المحمودى بابه حتى صعق، وندت عنه شهقه خوف وهو يرى هذا الجمع أمامه. تقدم منه أحدهم وأطلعه على هويته، طالبا منه أن يرافقهم فورا..

وفى أحد المبانى بحى الأوزاعى الذى يضم مراكز القيادة والمخابرات الفلسطينية .. سألوه عن سبب تواجده بمربع الفونتريكال، ومن كان رفيقه؟ . ومن تلك الفتاة الحسناء التى كانت جالسة على البار؟

أجابهم فى الحال عما يخص صديقه أحمد ضاهر ابن قريته، وفشل فى الإجابة عن مصدر ثرائه وعمله الحالى، كما أظهر جهله التام بتلك الفتاة التى يقصدونها، قائلاً إن البار كان مليئاً بالفتيات الجميلات شبه العاريات.

وفى انتقال سريع لعيترون .. فوجئ العميل الإسرائيلى عندما رجع إلى قريته خائباً، بزوجته رباب تبكى بكاء مرا ، وتسأله عن سر الجهاز الغامض المخبأ ببرج الحمام .. فأنخرس لسانه للمفاجأة التى لم يتوقعها، ولم ينطق بكلمة.

لطمت رباب خديها وشقّت جلبابها .. فهجم عليها يضربها بعنف قائلاً إنه ما فعل ذلك إلا لأجلها ولأجل أولادها، لكنها صرخت فى وجهه أن يطلقها ..

وبينما الأزمة فى قمة اشتعالها .. وصل نايف البدوى يحمل تقارير جديدة .. فانفرد به أحمد ضاهر مضطرباً لا يدرى كيف يتصرف .. ولاحظ صديقه اضطرابه وارتعاش أطرافه فسأله:

ـ ماذا حدث؟

إلا أن دخول رباب تحمل حقيبة سوداء وضعتها أمامهما أخرسه.

لحظات، وسمع صوت الباب الخارجى يغلق بشدة، فنهض ضاهر مسرعاً للحاق بها، لكنه انزرع مكانه أمام المنزل، وبال على نفسه لهول ما رأى.

كانت ثلاث سيارات عسكرية قد أقبلت واتجهت ناحيته مسرعة، وقفز منها مجموعة من رجال الأمن لا يعرف عددهم أحاطوا بالمنزل .. ولم يزل هو فى مكانه واقفاً لا يجرؤ على الحركة، بينما خرج نايف مسحوباً يتلوى بين أيديهم، ويحمل أحدهم الحقيبة بالجهاز الثمين.

حتى تلك اللحظة لم يكن ضاهر يعلم بالضبط كيف اكتشفوا أمره؟

أو منذ متى خططوا لاعتقاله..؟

وأثناء التحقيق سخر من سذاجته، وضحك فى مرارة وشماتة عندما واجهوه بأرليت وأنطوان شهدا.

لقد ظل عميل الموساد أحمد ضاهر ينتظر بشغف نبأ إلقاء القبض على الحية الكبرى نورما عساف، لكن لم يحدث ذلك أبدا، لأنها هربت بجلدها مبكرا جدا، وحققت مهامها بنجاح فى لبنان، وحققت أيضا مطلبها بألا تخلع ثيابها لأى عربى.

فأكله الغيظ واستسلم لواقعه المرير، إلى أن قضت المحكمة بسجنه ثلاث سنوات.. «!!».

وكان نصيب رفيقه نايف البدوى ستة أشهر، بينما طرد غسان ومن بعده أرليت خارج لبنان.

ألم نقل لكم من قبل أن لبنان بلد عجيب.. لا يعاقب فيه الجواسيس بنص القانون..؟!!

كتب صدرت للمؤلف عن دار أطلس

- حراس الهيكل .. عمليات الموساد الخارجية فى نصف قرن ـ الجزء الأول : الخطف .
- حراس الهيكل .. عمليات الموساد الخارجية فى نصف قرن ـ الجزء الثانى : الاغتيالات
- حراس الهيكل .. عمليات الموساد الخارجية فى نصف قرن ـ الجزء الثالث : الفضائح .
- رصاصة الرحمة .. اللحظات الأخيرة فى حياة الجواسيس .
- قصتى مع الموساد .. مذكرات جاسوس الإسكندرية .
- الملازم أول دينا عمر .. جندها زوجها فجندت أولادها الثلاثة .
- البكاء الصامت : دراسة سيكولوجية عن دموع العظماء .
- جاسوسات عاشقات .. خلدهن الحب وحقرهن التاريخ (سلسلة من ٢٠ جزء) .



تتشرف أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى بتلقى أى
أراء أو تعليقات على الكتاب سواء للدار أو للكاتب على :

تليفون : ٣٤٦٥٨٥٠ ـ ٣٠٢٧٩٦٥ (٢٠٢) فاكس : ٣٠٢٨٣٢٨
E-mail: atlas@innovations-co.com